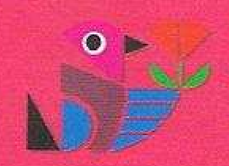
نبيهة محيدلي

رسوم: محمد سعيد بعلبكي

كَليلَة ودِمْنَة

بتصرّف عن ابن المقفع



دعمت هذا الكتاب وزارة الثقافة اللبنانية، في اطار مشروع التعاضد الاولوي - المطالعة العامة والنشر للاطفال.
(السفارة الفرنسية)

Ce livre est soutenu par le ministère de la culture libanais dans le cadre du projet FSP-lecture publique et édition jeunesse. (Ambassade de France)

الكتاب : كليلة ودمنة

النصّ : نبيهة محيدلي

الرسم : محمد سعيد بعلبكي

الإخراج الفني : لجينة الأصيل

التنفيذ والطباعة : مطابع دار الحدائق

الطبعة : الأولى 2008

ت.د. : ISBN 978-9953-496-25-2

ص.ب. 25/216 بيروت، لبنان هـ : 821679 1 961+ 840389 1 961+

ف : 840390 1 961+ البريد الالكتروني : alhadaek@alhadaekgroup.com

نبيهة محيدلي

كليلة ودمنة

بتصرّف عن ابن المقفّع



رسوم: محمد سعيد بعلبكي



الثَّعلب والطَّبل

يُحْكى أنّ ثعلباً جائعاً كان يَتنقّلُ في الغابةِ من ناحيةٍ إلى أُخرى، حتّى وصلَ إلى شجرةٍ عُلِّقَ عليها طبلٌ. كانتِ الرّيحُ تُحرِّكُ أغصانَ الشَّجرةِ بقوّةٍ، فَترتطِمُ بالطّبلِ، فَيَصْدُرُ عنهُ صوتٌ، يتردَّدُ في معظمِ الأرجاءِ.

تَعجّبَ الثّعلبُ مِنْ فِعلِ الطَّبلِ، وتسلّقَ الشّجرةَ لِلوصولِ إليهِ، وعِندما رآهُ، هالَهُ مَنظرُهُ، وظَنَّهُ جِسماً مملوءاً لَحماً وشَحماً. لِذا، بادرَ على الفورِ إلى شَقِّهِ، وإذْ بهِ يَجِدُهُ أجوفَ فارغاً لا شيءَ فيهِ.

عِندها، تأسَّفَ، وقالَ: لَعلَّ أفشلَ الأشياءِ أجهرُها صوتاً وأعظَمُها جُثَّةً.



الخبّ والمغفّل

كان يا ما كان، في إحدى بلادِ اللّهِ الواسعةِ رَجُلانِ، الأوّل كانَ خَبّاً (مُخادعاً)، والثاني كانَ مُغفّلاً. وقد كانا شَريكيْنِ في تِجارةٍ، وكانا يُسافرانِ مِنْ حينٍ لآخر.

في إحدى المرّاتِ، وبَينما هُما في الطَّريقِ، إذْ بِهما يَجدانِ كيساً فيهِ ألفُ دينارٍ، عَدّاً ونَقْداً.. فَرِحا كثيراً بالمالِ، وعلى الفورِ، قطعا سفرَهما وعادا.

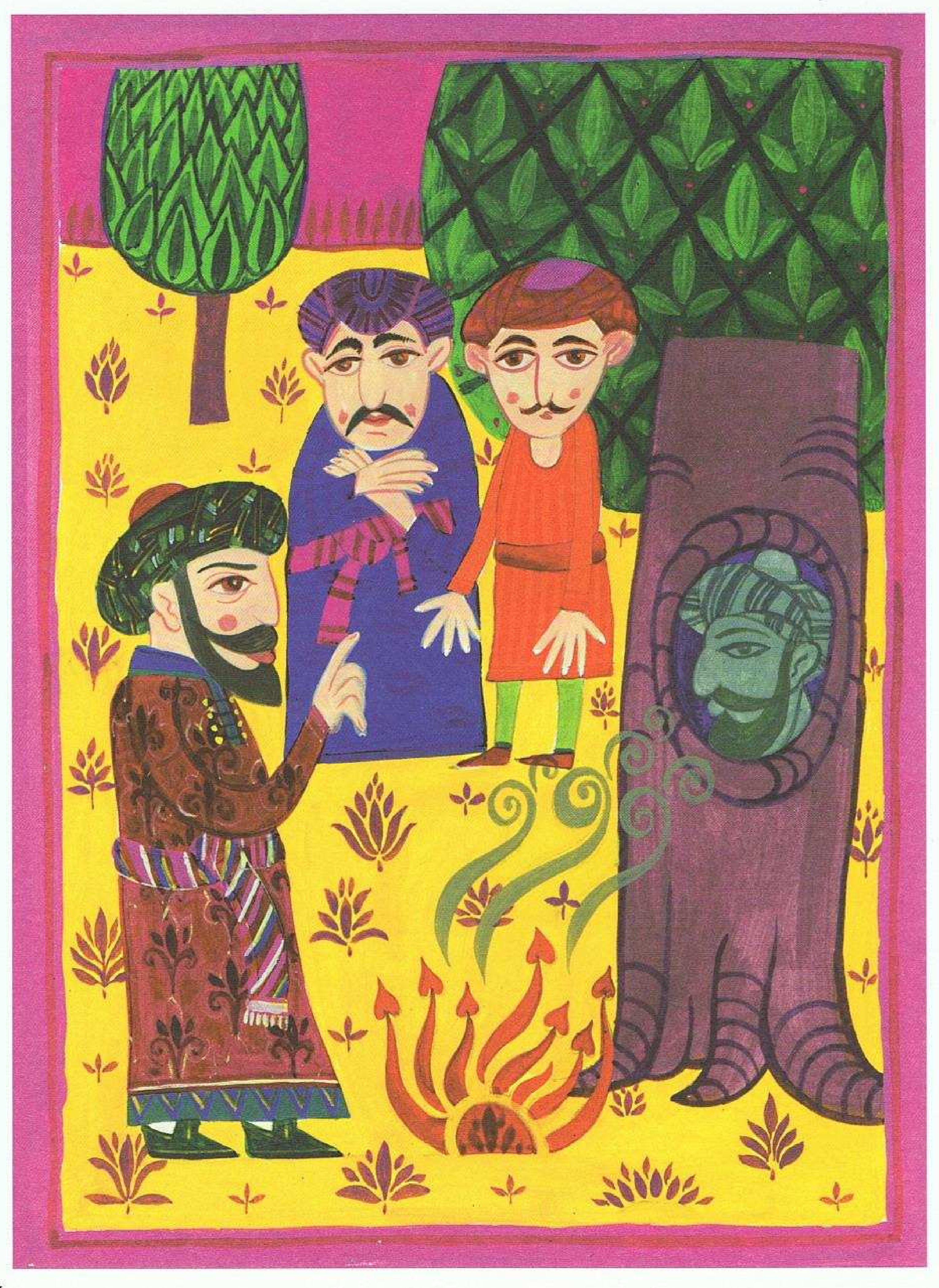
وقبلَ أنْ يَصِلا إلى ديارِهِما، اقترحَ المُغفّلُ أن تُقسَّمَ الدنانيرُ بالتَساوي.. إلاّ أنَّ الخبَّ اقترحَ أنْ يأخذَ كلُّ واحدٍ حاجَتَهُ مِنها، ويَتركا الباقي في مكانٍ يختارانَهُ، ثمّ يعودانِ إليهِ معاً كُلّما احْتاجا إلى المالِ.. فوافقَ المُغفّلُ.

وكانَ الاختيارُ تحتَ شجرةٍ شديدةِ الضّخامةِ. حيثُ احتفظَ كلٌّ مِنَ الشريكينِ بِحاجَتِهِ من الدّنانيرِ، ثمّ دَفنا الكيسَ، وغادرا.

في هذا الوقتِ، كانَ الخبُّ يُبيّتُ الخُطّةَ لِشيءٍ آخرَ.

مرّتِ الأيامُ والأسابيعُ، إلى أنْ جاءَ يومٌ، طَلَبَ فيهِ المُغفّلُ مِنَ الخَبِّ أنْ يذهبَ مَعهُ، لِيأخُذَ كلٌّ مِنهُما نَفقَتَهُ مُجدَّداً، كما اتفَقا.

بلغَ المُغفّلُ والخَبُّ الشّجرةَ، وحفرا مكانَ الدّنانيرِ.. إلاّ أنّهما لم يَجِدا شيئاً..



بُهِتَ المُغفَّلُ، أمّا الخَبُّ فـراحَ يَـصـرُخُ ويُـولْـوِلُ، ويَكيلُ التُّهَمَ لِصاحِبِهِ. ولمْ يكْتفِ بذلكَ، بلْ أصرَّ على اصْطِحابِهِ إلى القاضي.

عندَ القاضي، أصرَّ الخَبُّ على اتّهامِ المُغفَّلِ بِسَرِقَةِ المالِ، وخَوْنِ الأمانةِ.

فكَّرَ القاضي وقالَ: أنتَ تَدَّعي ذلكَ فما هيَ بَيِّنَتُكَ؟

قالَ الخَبُّ: الشَّجرةُ.. هي مَنْ سَيَشْهَدُ على ذلك..

وَسْطَ حَيْرَةِ الجميعِ، بِمنْ فيهِم القاضي، أصرَّ الخَبُّ على قولِهِ، فما كانَ مِنَ القاضي إلاّ أنْ أصرَّ على أنْ يَشهدَ ذلكَ بِسمعِهِ وبَصرِهِ.. وأنْ يكونَ الأمْرُ في اليومِ التّالي.

كانَ لِلخبِّ أبٌ بسيطٌ.. حاولَ أن يُثنيَ ولدَهُ عَنْ خُطَّتِهِ.. ولكنَّ الابنَ أصرَّ عَليْها، وراحَ يرجوهُ أنْ يُساعدَهُ كي يَنْجُوَ مِنْ حُكمِ القاضي.

أمّا كيفَ.. فَبِكُلِّ بساطةٍ، يَدْخُلُ الأبُ جوفَ الشَّجرةِ إيّاها، ويتكلّمُ من داخلِها..

لَمْ يَكُنْ أمامَ الأبِ إلاَّ أن يوافقَ. وفي الوقتِ الموعودِ.. انطلقَ القاضي والخَبُّ والمُغفَّلُ إلى الشَّجرةِ، فسأَلَ القاضي: أيَّتُها الشَّجرةُ هلاَّ أَخْبرتِنا مَنْ خانَ صاحِبَهُ، وأخذَ الدَّنانيرَ من تحتِكِ؟ فجاءَهُ الصَّوتُ عميقاً من جوفِ الشَّجرةِ: إنَّهُ المُغفَّلُ من أخذَها..

ذُهِلَ القاضي، ولكنَّ الحيلةَ لم تَنْطلِ عليهِ، فراحَ يلفُّ ويدورُ حولَ الشَّجرةِ.

أطلَّ برأسِهِ إلى داخلِ الجَوْفِ، لَمْ يرَ أحداً، لأنّ العجوزَ كانَ قد تكوَّمَ بِطريقةٍ لا يراهُ فيها أحدٌ.

وخَطَرَتْ في بالِهِ فِكرةٌ.

أمرَ بِحَطَبٍ، ثمَّ أوقدَ ناراً، إلى أنْ بدأَ الدُّخانُ يدخلُ جَوْفَ الشَّجرةِ.

صَبَرَ العجوزُ، وصَبرَ وصَبرَ، ثمَّ بدأَ يَسْعُلُ ويَستَغيثُ مُنادِياً: أَنْقِذوني.. أَنْقِذوني.. أكادُ أَختَنِقُ.

فَسَحبوهُ على الفورِ، وقَدْ شارفَ على الموتِ.

وتقولُ الحكايةُ: عُوقِبَ الخَبُّ، ثمَّ غُرِّمَ، فيما انطلقَ المُغَفَّلُ بالدَّنانيرِ.

الأسد وابن آوى



قرّر ابنُ آوى أن يعيشَ حياةً هادئةً نظيفةً، لا مشاكلَ فيها، حيثُ لا ظُلْمَ أو عدوانَ، ولكنَّهُ تَساءلَ في نَفْسِهِ، كيفَ يَفعلُ هذا، وعملُ أبناءِ جنسِهِ الدّائمُ الاعتداءُ على الآخرين، وهو لا يُمكِنُهُ العَيشُ بعيداً عنهم، إذ تَربُطُهُ بِهِمْ عَلاقةُ قَرابةٍ وعَيْشٍ مُشتركٍ؟

وبعدَ طولِ دِراسةٍ، قرَّرَ ابنُ آوى البقاءَ مَعَ عَشيرتِهِ، وفي الوقْتِ ذاتِهِ، يَنْصَرِفُ عَنْهُم بِهُدوءٍ، ويُشْغِلُ نَفْسَهُ بأمورٍ أخرى...

ومرَّتِ الأيّامُ... وابنُ آوى يَسلُكُ مَسلَكَ الزّاهِدينَ. فسخرَ مِنْهُ مَنْ سَخِرَ مِنَ السِّباعِ والذِّئابِ والثَّعالبِ، واشتهرَ بمخالفَةِ رأي عشيرتِهِ، عندَما كانوا يُغيرونَ على الحيواناتِ الضَّعيفةِ. وكانَ يُنْكِرُ ذلكَ بِقلبِهِ، ويَعتَبِرُهُ أقل شيءٍ يُمكنُ عَملُهُ... وظلَّ كذلكَ إلى أنْ ذاعَ صيتُهُ، واتَّصفَ بالحِكمةِ والزُّهدِ، والأمانةِ والعَفافِ...

وصلَ خبرُ ابنِ آوى إلى أسدٍ كانَ مليكَ غابةٍ قريبةٍ، فأرسلَ بِطلبِهِ لِيتعرَّفَ إليهِ، ويتحقَّقَ من صِفاتِهِ. فحضرَ ابنُ آوى إلى الأسدِ الذي ما إنْ قابلَهُ حتّى اقتنعَ بما يُقالُ عنهُ مِنْ حِكمةٍ وشهامةٍ.

تمسَّكَ الأسدُ بابنِ آوى، وعرضَ عليهِ مَهمّةَ مُستشارِ المَلكِ الخاصِّ.

حاولَ ابنُ آوى أنْ يتملَّصَ من المَسؤوليةِ، واقْترحَ أنْ يتولّى المَنصِبَ أحدٌ غيرُهُ. إلاّ أنَّ الأسدَ أصرَّ، ولَمْ يُعفِهِ مِنَ المَهمَّةِ.

عندَها، صارحَ ابنُ آوى الأسدَ بِمخاوفِهِ، فقالَ إنَّهُ يخافُ إنْ هو تَميَّزَ في عملِهِ، ونالَ رِضى الملكِ، أنْ يُثيرَ حِقْدَ الحاقِدينَ وغيرَتِهم، وبالتّالي وِشايَتَهم، وإيقاعَهم به بِمكيدَةٍ ما...

ضَحِكَ الملكُ الأسدُ، ووعدَ ابنَ آوى بأنَّهُ لَنْ يُصدِّقَ أيَّ وِشايةٍ بِهِ، وأخذَ عَهداً على نفسِهِ بذلكَ...

بدأ ابنُ آوى العملَ، وأثبتَ مَقْدِرتَهُ، وحازَ ثقةَ الأسدِ، فَولاّهُ خَزائِنَهُ التي فيها المَؤُونةُ.

مرّتِ الأيامُ، وحدثَ ما توقّعَهُ ابنُ آوى... فَزُوّارُ المَلكِ، والذينَ يَعتبرونَ أنْفُسَهم مِنَ المُخلصينَ لَهُ، ساءَتْهُم مكانَةُ ابنِ آوى، وما فيهِ مِنْ نَعيمٍ وحِظْوَةٍ. واتَّفقوا جميعاً – حتّى ولو كانوا مُتخاصِمينَ – على أنْ يَكيدوا لَهُ..

وراحوا يَنْتظرونَ الفُرْصَةَ...

وجاءَتْ..

كانَ الأسدُ قَدْ اصطادَ لَحماً... فطلبَ من ابنِ آوى أن يَحتفِظَ لَهُ بِهِ...

تَحَيّنَ الأصحابُ المُتحالفينَ غيابَ ابنِ آوى في عملٍ آخرَ، فَتسلَّلوا إلى مكانِ اللَّحمِ. وبالتَّعاونِ مَعَ الحارسِ، أخذوهُ ووضَعوهُ في بيتِ ابنِ آوى...

وفي المساءِ، كانوا في مجلسِ الملكِ وكأنَّ شيئاً لَمْ يَكُنْ. وعندما طلبَ الملكُ اللَّحمَ، راحَ الأصحابُ يَنظرونَ بَعضَهم إلى بعضٍ. طلبَ الملكُ مِنْهم الإفصاحَ.

فقالَ أحدُهم: اللَّحمُ عندَ ابنِ آوى... أخذَهُ إلى منزلِهِ.

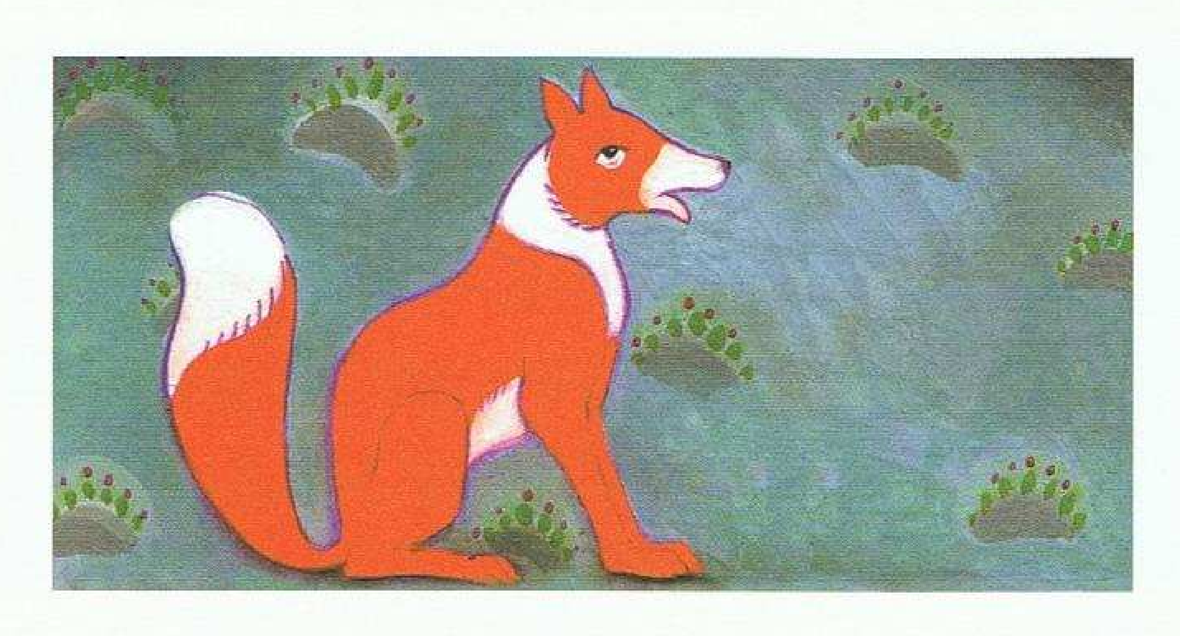
تَصدّى ناصحٌ آخرُ لِلتُّهمةِ – حَسْبَما اتَّفَقوا مُسْبقاً – وقالَ مُحتدّاً: كيفَ تَتَّهِمُ ابنَ آوى يا هذا، مِنْ دونِ أن تَتَحقَّقَ؟.

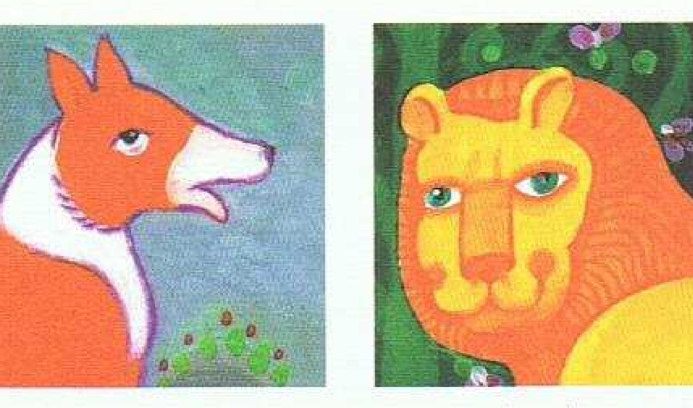
وقالَ ثالثٌ: فَلْنَتَحقَّقْ... وإنْ ثَبُتَ ذلكَ فهوَ لَخائِنٌ حقّاً....

بَعَثَ الملكُ بِطَلَبِ ابنِ آوى، وعندما حضرَ، سألَهُ عنِ اللَّحمِ... فأمرَ ابنُ آوى الحارسَ بإحضارِهِ، إلاّ أنَّ الحارسَ أنكرَ أنَّهُ تَسَلَّمَ شيئاً...

على الفَوْرِ، أَرسَلَ الأسدُ أصْحابَهُ لِيَبحثوا في بيتِ ابنِ آوى، فوجدوا اللَّحمَ هناكَ.

اِغتاظَ الملكُ وغَضِبَ، فاسْتغلَّ ذئبٌ، كانَ صامتاً طوالَ الوقتِ المَوْقِفَ، وقدَّمَ نصيحَتَهُ لِلملكِ قائلاً: اِنتبهْ سيدي، إنْ عَفوتَ تجرَّأَ الجَميعُ عليكَ، وذَهبَتْ هَيبتُكَ.





وفي لحظةِ غضَبٍ، أقصى الملكُ ابنَ آوى، وعزلَهُ عن مَنصبِهِ.

أمّا ابنُ آوى فلمْ يَرُدَّ بشيءٍ... وانكفأَ بعيداً..

بعدَ ذلك، راحَ الملكُ يُراجِعُ نَفسَهُ لَعلَّهُ ظَلَمَ ابنَ آوى. فأرسلَ أحدَ أعوانِهِ بِطلبِهِ، إلاّ أنَّ المكيدةَ استمرَّتْ، حينَ جاءَتِ الملكُ رِسالةٌ ملفَّقَةٌ، فيها ما يُهينُ الملكَ، فاشْتعلَ غضَباً، وأمرَ بِقَتلِ ابنَ آوى...

إنتبهتِ اللبوةُ أمُّ الأسدِ لِما يَجري، فَهالَها ما رَأَتْ مِنْ حُكمِ وَلَدِها، فتَوجَّهَتْ إليهِ مُؤَنِّبةً واعظةً، ناهيةً إياهُ عَنِ التَّسرُّعِ، مُبَصِّرةً إياهُ بِكيدِ الحاقِدينَ...

ووافقَ بعضُ الثِّقاةِ الطَّيّبينَ أمَّ الأسدِ الرأيَ، وكانوا قَدْ اطَّلعوا على المَكيدةِ مُصادَفَةً مِنْ ثرثراتِ المتآمرينَ...

وتقولُ الحكايةُ... إنَّ الملكَ عادَ إليهِ رُشْدُهُ... وشَكَرَ أمَّهُ... وعاقبَ الواشينَ، وأرسلَ في طلبِ ابنِ آوى مُعتذراً نادماً، وقد أعادَ ثقتَهُ فيهِ، وطلبَ منهُ العودةَ إلى مَنصبِهِ...

وعادَ ابنُ آوى إلى التّذكيرِ القَديمِ بأنَّهُ يَخشى وِشايةَ الواشينَ والحاقدينَ...

طَمأنَهُ الملكُ إلى أنهُ لن يُلدَغَ من جُحرٍ مرَّتينِ.

وعادَ ابنُ آوى إلى العملِ، ومرَّتِ الأيامُ والملكُ يَزدادُ ثقةً بهِ...

الخازن والمصوّر

يُحكى أنَّ خازِناً كانَ يَعملُ لَدى تاجرٍ، في حِسابِ الأموالِ وعدِّها وترتيبِها.

كانَ التّاجرُ يَخشى على أَموالِهِ. لِذا، كانَ قبلَ أنْ يَنصرِفَ، يُقفِلُ بابَ الدُّكّانِ على الخازنِ، ثمَّ يعودُ بعدَ انقضاءِ العملِ لِيَتَسَلَّمَ مِنهُ الأموالَ والحِساباتِ.

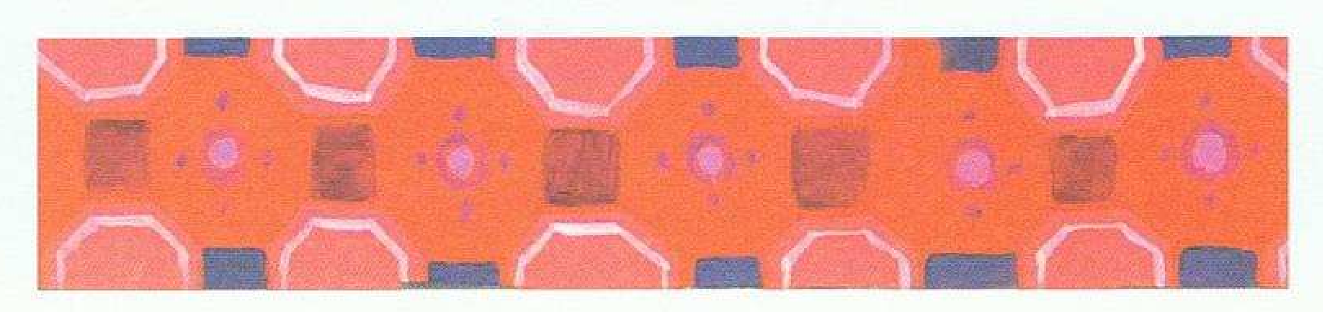
ومرّتِ الأيامُ، والخازنُ يَقومُ بِمَهمَّتِهِ.. إلى أنَّ خطرَ ببالِهِ خاطرُ سوءٍ.. حينَ قرَّرَ أنْ يأخذَ مِنْ مالِ التّاجرِ، ومِنْ دونِ عِلْمِهِ..

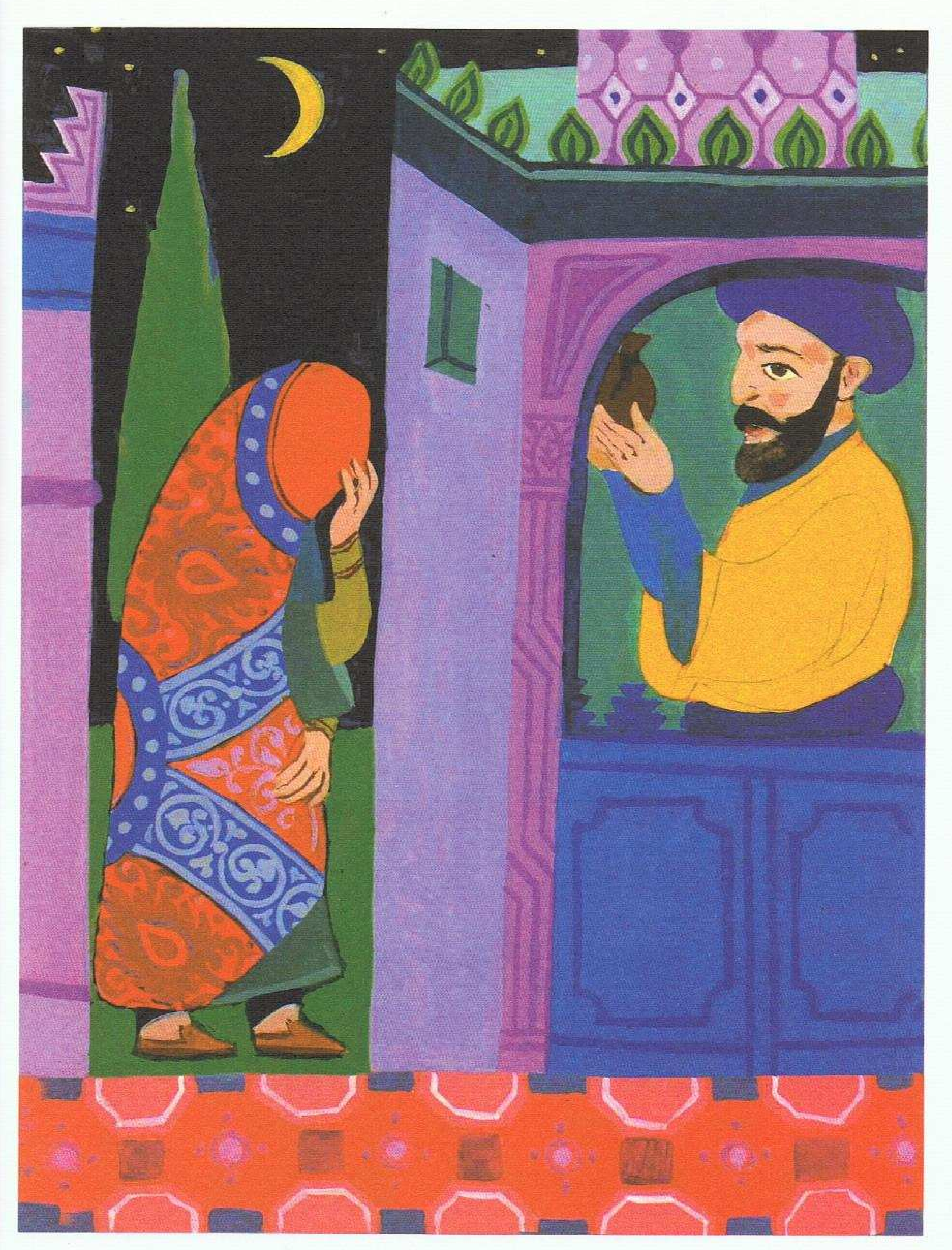
فَكَّرَ الخازنُ في أكثرَ مِنْ طريقةٍ لِخداعِ رَبِّ عملِهِ.. إلى أنِ اهْتَدى إلى حَلٍّ، ظَنَّ أنَّهُ مُحكَمٌ لا ينكشِفُ مَعَهُ أبداً.

كانَ لِلخازنِ صديقٌ مُصوِّرٌ، يَشْتَغِلُ في دكّانٍ بِجانبِ المَخزنِ الّذي يَعملُ فيهِ.

حدَّثَ الخازنُ صديقَهُ بما يُفكِّرُ، ووضعَ معهُ خُطَّةً، تَقضي بأنْ يرميَ لَهُ صُرَّةً فيها النُّقودُ، من كُوَّةٍ (نافذة) في المَخزَنِ.

أمّا العَلامةُ، فكانَتْ أنْ يَرتديَ المصوِّرُ ملاءَةً مُزركشةً، يَلُفُّ بِها نَفْسَهُ، ولا يَظهرُ مِنهُ شيءٌ، حتّى لا يَنْكَشِفَ أمرُهُ. وعِندما يَلمحُهُ الخازنُ مِنْ شَقٍّ في بابِ المخزَنِ يَرمي لَهُ بِالنُّقودِ مِنَ الكوَّةِ.





ومرَّتِ الأيامُ والمصوِّرُ يَتلقّى كُلَّ يومٍ صُرَّةً فيها بعضُ النُّقودِ، يَتقاسَمُها مَعَ الخازنِ، فورَ خروجِهِ مِنْ عَملِهِ. واستمرَّ الحالُ إلى أنْ جاءَ يومٌ، انتبهَ فيهِ جارٌ لِلمُصوِّرِ لِما يَحصُلُ.. فما كانَ مِنْهُ إلاّ أنْ توجَّهَ إلى بيتِ المُصوِّرِ أثناءَ غيابِهِ، وكانَ يَعرفُ خادِمَهُ، فطلبَ منهُ أنْ يُعيرَهُ المُلاءَةَ المُزركَشةَ إيّاها..

لفَّ الرجلُ نفسَهُ بالملاءَةِ، تماماً كما يَفعلُ المصوِّرُ.. ومَرَّ مِنْ أمامِ المخزنِ، ثُمَّ وقفَ تحتَ الكوَّةِ يَنتظرُ. وكالعادةِ، لَمحَهُ الخازنُ فرَمى لَهُ بالصُّرّةِ.

حصلَ الرجلُ على النّقودِ.. ثُمَّ ما لبثَ أنْ أعادَ الملاءةَ إلى بيتِ المصوّرِ، بعدَ أنْ تأكّدَ أنَّ في الأمرِ سَرِقَةً، وعليهِ إخبارُ التّاجرِ بِها.

في ذلكَ اليومِ.. وكالعادةِ، ارتدى المُصوّرُ الملاءةَ، ومرَّ مِنْ أمامِ الخازنِ. الذي استَغْرَبَ الأمرَ، فرَمى لَهُ صُرَّةً ثانيةً مِنَ النُّقودِ.

وعِندَما غادرَ عملَهُ، توجَّهَ إليهِ لِيَسْتَفْسِرَ عمّا حَصَلَ.

إِستغربَ المُصوّرُ ما سَمِعَهُ مِنَ الخازنِ، وهرعَ إلى بيتِهِ لِيَسْتَعْلِمَ الأمرَ مِنْ خادمِهِ..

نزلَ الخبرُ على رَأْسَيّ المُصوّرِ والخازنِ نُزولَ الصّاعِقَةِ. لَمْ يدرِكِ المُصوّرُ ماذا يَفعلُ، إلاّ أنَّهُ جاءَ بالملاءَةِ وأحرقَها، فيما جلسَ الخازنُ يَلْطُمُ خَدَّيْهِ بانتظارِ ما سَيَحصُلُ، عِندما يَصِلُ الخَبرُ إلى ربِّ عملِهِ، فالعِقابُ واردٌ لا مَحالَةَ، والسِجْنُ والغرامةُ مصيرُهُ ومصيرُ صديقِهِ.

الحمامة المطوّقة

يُحْكى أنَّهُ في قديمِ الزّمانِ، وفي إحدى غاباتِ السِّندِ، عاشَ غرابٌ على إحدى الأشجارِ المعمِّرةِ.

كانَتِ الأيامُ تَمرُّ على الغرابِ بهدوءٍ وسَكينةٍ، وهوَ ينعمُ بِما حولَهُ، حتّى حَدَثَ في أحدِ الأيّامِ أنْ رأى صياداً.

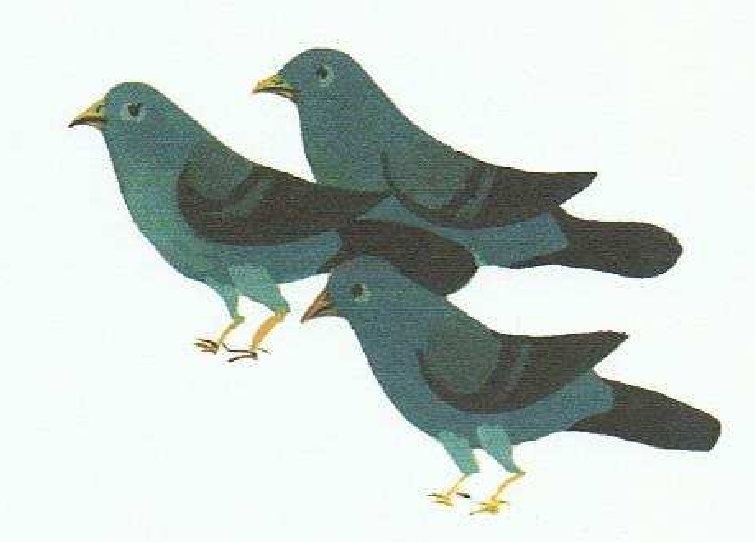
– يا إلهي... ما الّذي جاءَ بِهذا الصّيادِ إلى هُنا، وأنا الّذي كُنْتُ أظنُّ أنَّ وِكري آمنٌ؟! بقيَ في مكانِهِ بِلا حِراكٍ إلى أنْ انْتَبَهَ إلى شيءٍ آخر. فقالَ: ولَكِن مهلاً... يبدو أنَّ هذا الصَّيّادَ في مَهمّةٍ.

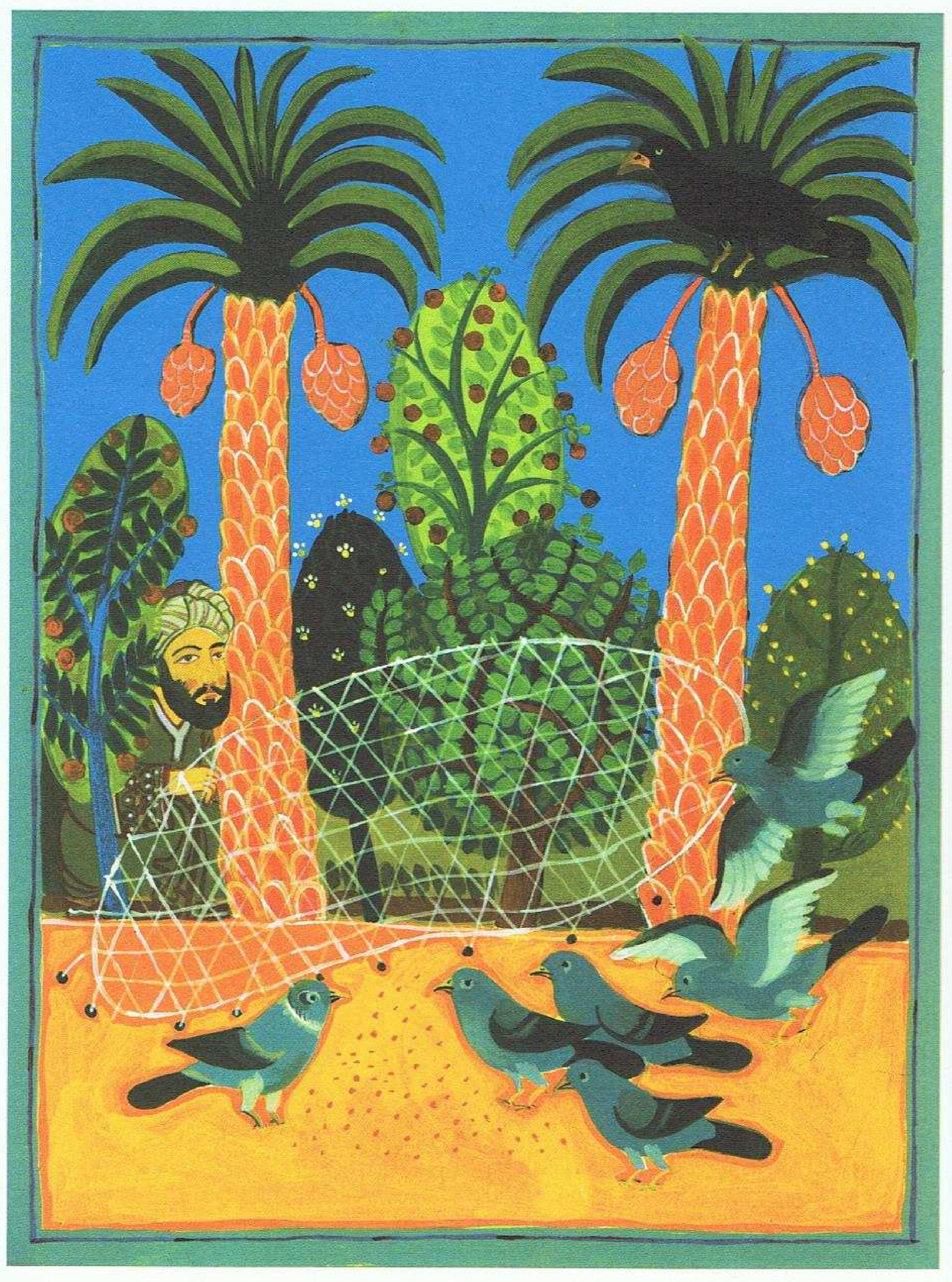
بِالفِعلِ، كانَ الصَّيّادُ يَنْصُبُ شبكتَهُ على الأرضِ.. وينْثُرُ الحَبَّ عليها..وعِنْدما انتهى توارى خَلْفَ إحدى الأشجارِ.

– يا لَكَ من غادرٍ ! قالَ الغرابُ.

وفي هذهِ الأثناءِ، تشاءُ المُصادفاتُ أنْ تَمرَّ حَمامةٌ تُعْرَفُ بِالحمامَةِ المُطوَّقَةِ، لأنَّ لَها عَلامةٌ مثلَ الطَّوْقِ على عُنُقِها.

كانَ مَعَ المُطوَّقَهِ حَمامٌ كثيرٌ، تقودُهُ في رِحلةِ بَحثٍ عَنِ الرِّزقِ.







ومِنْ غيرِ تعبٍ، وجدَتِ الحَبَّ مفروشاً على الأرضِ. فَرِحَتْ، وهبطَتْ لِتَلْتَقِطَهُ، وإذْ بِالشَّبكةِ تُطْبِقُ عليها وعلى الحمامِ الّذي معَها... وفَرِحَ الصَّيّادُ.

حَدَثَ كُلُّ هذا في لحظاتٍ، كانَ الغُرابُ يُراقِبُ خِلالَها ما يَحْصُلُ، صَدَمَهُ المشهدُ.. أغمضَ عينيهِ مِنْ هَوْلِ ما رأى.

ولَكِنْ، عِندما فَتَحَهُما رأى مَنظراً عَجيباً.

طَلَبَتِ الحَمامةُ المُطَوَّقَةُ مِنَ السِّربِ أنْ يَطيرَ دَفْعةً واحدةً، والارتفاعَ بِالشَّبكةِ بِأقصى سُرعَةٍ مُمْكِنَةٍ.

في هذهِ اللَّحظةِ، رأى الغُرابُ الصَّيّادَ يَركضُ خَلْفَ شَبكتِهِ مَدهوشاً وهو يرى كيفَ طارَ السِّرْبُ، وارْتَفَعَتِ الشَّبَكَةِ.

– مِسكينٌ.. لَمْ تَطُلْ فَرحتُكَ أيُّها الصَّيّادُ، قالَ الغرابُ.

وتَحَمَّسَ لِيَرى ما سَيَحُلُّ بالحَمامِ: هَلْ سَيَتْعَبُ قبلَ أنْ يتعبَ الصَّيّادُ، الّذي يَبْدو أنَّهُ مُصِرٌّ على مُتابَعَتِها؟

راحَ الغرابُ يُراقِبُ بِصَمْتٍ، ومِنْ بَعيدٍ.

داخِلَ الشَّبكةِ كانَتِ الحمامةُ المُطَوَّقَةُ تطلبُ مِنْ أَخواتِها الهُبوطَ بِاتّجاهِ مِنْطَقَةٍ، تَكْثُرُ فيها البيوتُ.

حدَّدتِ اتِّجاهَها، وصَوَّبَتْهُ أكثرَ نَحْوَ جُحْرِ أحدِ الجُرذانِ، ويَبدو أنَّهُ كانَ

صَديقاً قَديماً لها، عِندما كانَتْ تعيشُ على أحدِ السُّطوحِ.

وهكذا ابتعدَ سِرْبُ الحَمامِ، وتَوارى عَنْ عَيْنِ الصَّيادِ.

حَزِنَ الصَّيّادُ، وراحَ يَنْدُبُ حظَّهُ. أمّا الغرابُ، فكانَ كَمَنْ يُشاهِدُ فيلماً مشوّقاً، لَمْ يَشأْ أنْ يُفوِّتَ فُرصةَ مُشاهدةِ نِهايتِهِ.

وعلى أحدِ السُّطوحِ، كانَ يدورُ الحديثُ التّالي:

ـ الجُرذُ: أيّتُها المُطوّقةُ الحكيمةُ، ما الّذي جرى..؟ وهَمَّ أنْ يَقرِضَ العِقدَةَ حولَها.

ـ أرجوكَ.. خلِّصْ بقيةَ الحمامِ قبلي..

ـ ولكِنْ، أنتِ صَديقَتي.. وواجِبي أنْ...

ـ لا.. أخافُ إنْ أنتَ خلَّصتَني أنْ تَمَلَّ وتكسَلَ، وتَضْعُفَ فلا تُخلِّصَ بقيةَ الحمامِ. أمّا إذا بَدَأْتَ بِهِنَّ، فَمِنَ المؤكّدِ أنّ وفاءَكَ سَيكونُ دافعاً لكَ كَي تُواصِلَ العملَ لإنقاذي.

لَمْ يَندهشِ الجُرَذُ مِمّا سَمِعَهُ مِنَ الحمامةِ المطوّقةِ، فهو يَعرِفُها تمامَ المَعرفةِ.

أمّا الغرابُ، فكانَ في غايةِ الاندهاشِ والانبهارِ لِكلِّ ما رأى وسمِعَ مِنْ وفاءِ الجُرَذِ، ومِنْ حِكمَةِ الحمامةِ المطوّقةِ، الّتي أنقذَتْ نفسها ورفيقاتِها.

وهنا، قرّرَ أنْ لا يفوِّتَ الفرصةَ لِلاستفادَةِ مِنَ الدّرسِ الّذي مرَّ معهُ، فَهَمَّ بأن يَتَّخِذَ مبادرةً تِجاهَ الجُرَذِ.

(يتبع في قصة الغراب والجرذ)

الغراب والجرذ

أعجبَ الغرابُ بهمّةِ الجُرَذِ، ونشاطِهِ، ووفائِهِ وهوَ يَقضِمُ حِبالَ الشَّبكةِ، الَّتي علِقَتْ فيها الحمامةُ المطوّقةُ..

قالَ في نفسِهِ: كم أتوقُ إلى أَنْ يكونَ لي صديقٌ وفيٌّ كالجُرذِ.. فالحياةُ جافّةٌ مِنْ دونِ أصدقاءَ..!

فكّرَ الغرابُ، وبِسرعةٍ أخذَ المُبادرةَ..

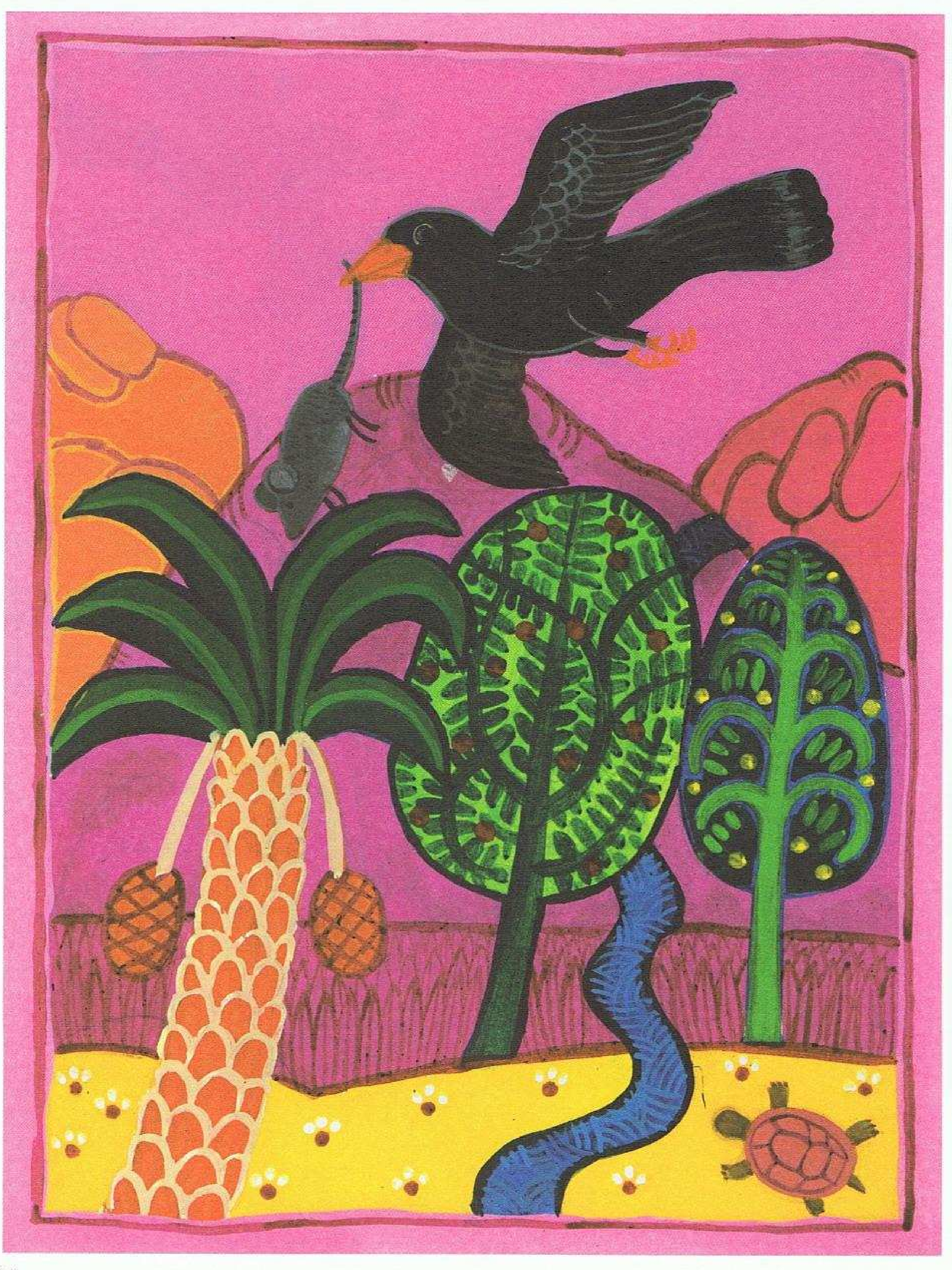
اِقتربَ مِنَ الجُرذِ، وعَرَضَ عليهِ صداقتَهُ. لكنَّ الجُرَذَ ما إنْ لمحَهُ حتّى اسْتغربَ وأسرعَ مُتوارياً..

ألحَّ الغرابُ، وألحَّ.. عِندها أطلَّ الجُرَذُ مِنْ جُحرِهِ، وقالَ: ولكن.. ماذا لو أَكَلْتَني؟

قالَ الغرابُ: إنْ أنا أكلتُكَ فسأَسْتَفيدُ مرّةً، وإنْ صادقْتُكَ فسأَسْتَفيدُ كلَّ الوقتِ.

وبعدَ مُناقشةٍ طويلةٍ.. لَمَسَ الجُرَذُ صِدْقَ الغرابِ، فقبِلَ صداقَتَهُ، ولكنَّهُ ظلَّ حَذِراً إلى أنْ أثبتَتْ لَهُ الأيّامُ صِدقَ نواياهُ، فعاشَ قُربَ وَكْرِهِ عيشةً هانِئةً..

ومرّتِ الأيّامُ، إلى أنْ جاءَ يومٌ، شعرَ فيهِ الغرابُ بِضرورةِ الانتقالِ إلى مكانٍ يَكثُرُ فيهِ الرِّزقُ.. فعرضَ على الجُرذِ التَّرحالَ، وراحَ يَعملُ جاهداً على





إقناعِهِ، فوافَقَ.

يومَ الرحيلِ، حملَ الغرابُ الجُرذَ مِنْ ذيلِهِ، وطارَ بِهِ حتّى وصلَ إلى صديقَتِهِ السُّلَحْفاةِ الّتي كانَتْ تَعيشُ قُرْبَ النّهرِ.

عرَّفَ الغرابُ السُّلَحْفاةَ بِصديقِهِ الجديدِ، وروى لها حِكايتَهُ مَعَ الحمامةِ المطوّقةِ، فاطْمأنّتْ لَهُ، وصاروا أصدقاءَ ثلاثةً، عاشوا قربَ الماءِ يَتقاسَمونَ الطَّعامَ والحديثَ..

وفي إحدى المرّاتِ، رَأَوْا ظَبياً شارِداً يَهْرَعُ نحوَهُم، بعدَ أنْ ضَلَّ طَريقَهُ..

عرضَتِ السُّلَحْفاةُ على الظَّبي الصَّداقةَ، وعاهدَتْهُ على أنْ يَتقاسَموا الرِّزقَ، والمودّةَ والوفاءَ..

وهكذا، صاروا أربعةَ أصدقاءَ، عاشوا تحتَ ظِلِّ عريشةٍ، يتذاكرونَ الأحاديثَ والأخبارَ.

في أحدِ الأيّامِ، تأخَّرَ الظَّبي، فَقَلِقَ الأصدقاءُ الثلاثةُ عليهِ..

اِنطلقَ الغرابُ عالياً لِيَستطلِعَ الأمرَ، وإذْ بالظَّبي في حبالِ الصَّيّادِ.

حضرَ الجميعُ إلى مكانِ الظَّبي، وبسرعةٍ بدأَ الجُرَذُ العملَ.

كانَ الظَّبيُ يُشيرُ لِلسُّلَحْفاةِ بِضرورَةِ الذَّهابِ، لأنَّ الصَّيّادَ قَدْ يَحضُرُ بينَ لَحظةٍ وأُخرى.. وبالفِعلِ، ما إنْ أطلَّ الصَّيّادُ، حتّى كانَ الجُرَذُ قَدْ فرغَ مِنْ

قَرْضِ الشَّبكةِ.

عِندَها، فرَّ الظَّبي، وحلَّقَ الغرابُ، واختفى الجرُذُ، ولَمْ يَبْقَ غيرُ السُّلَحفاةِ تَدُبُّ بِبُطءٍ. وما إنْ لَمحَها الصَّيادُ، حتّى أخذَها، وربطَ حَوْلَها الحِبالَ.

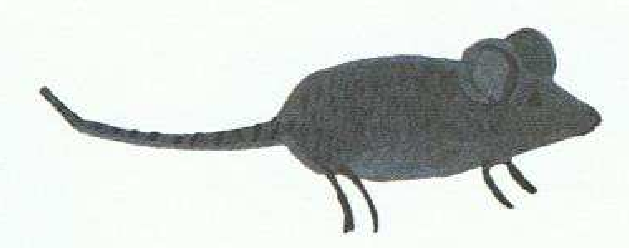
راحَ الغُرابُ يبحثُ عَنِ السُّلَحفاةِ، فَوجدَها أسيرةً.. عِندَها راحَ يَندُبُ حَظَّهُ، فقالَ لَهُ الجُرَذُ: لا تندبْ حظَّكَ أيّها الغُرابُ.. دَعْنا نُفكِّرْ.

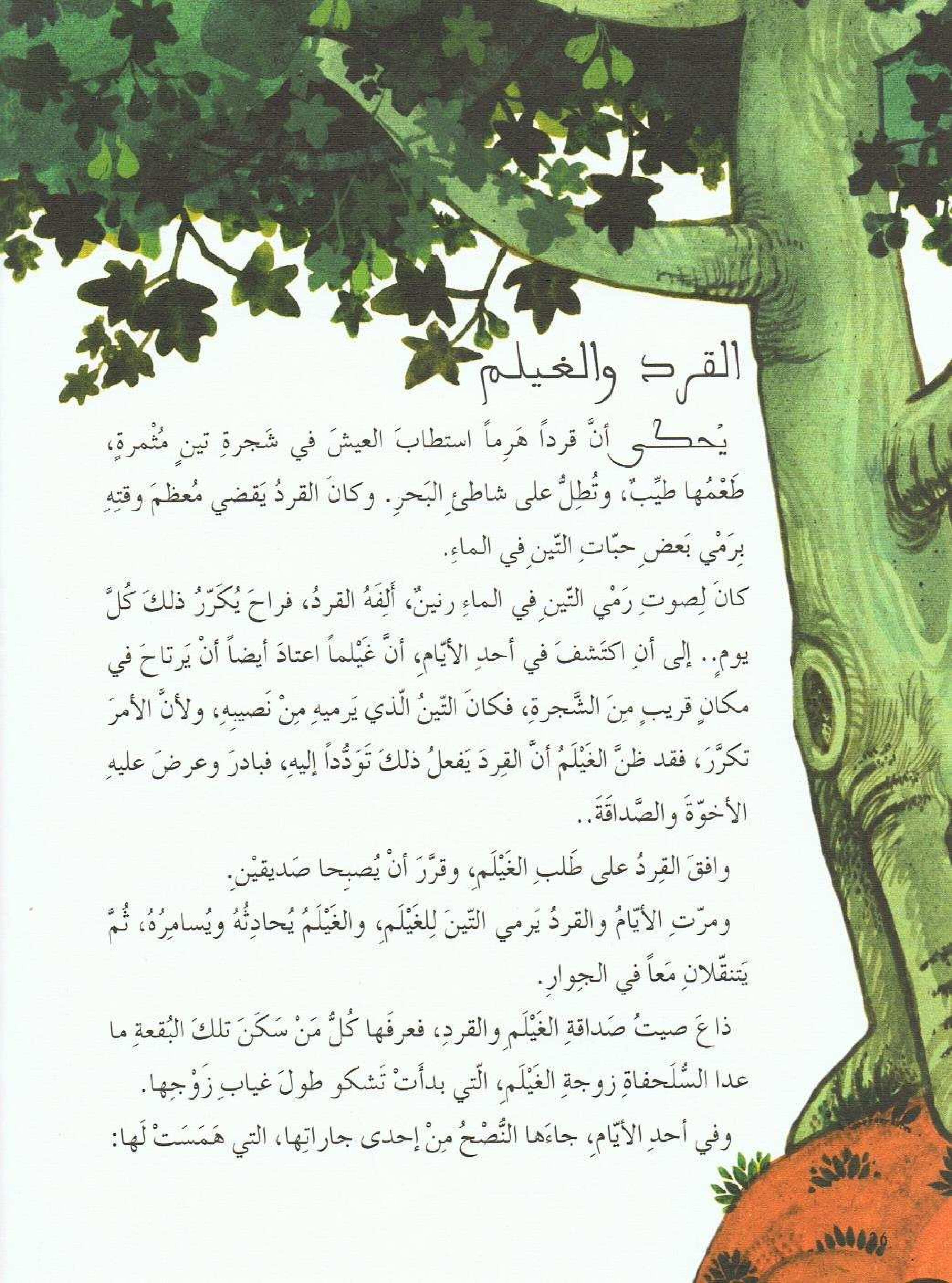
وفكّرَ الجميعُ بِخُطَّةٍ كانَتْ كما يلي: يَدَّعي الظَّبي الموتَ، فَيُحلِّقُ الغُرابُ فوقَهُ حتّى يُلفِتَ نَظَرَ الصَّيّادِ لِيُبعدَهُ عَنِ السُّلَحفاةِ، عِندها يبدأُ الظَّبيُ بالانْسحابِ تَدْريجياً. في هذا الوقتِ، يكونُ الجُرذُ قَدْ حَرَّرَ السُّلَحفاةَ، والظَّبيُ قَدْ لاذَ مُسرعاً بِمَخْبَئِهِ.

ونجحَتِ الخُطّةُ كما أرادوها، وتحرَّرَتِ السُّلَحفاةُ.

وعِندما عادَ الصَّيّادُ رأى الحِبالَ مُقطَّعَةً، فزِعَ وخافَ: يا إلهي ما هذا، للمرّةِ الثانيةِ تتقطّعُ الحِبالُ، ما الّذي يَجري.. أهو سِحرٌ؟ سأرحَلُ عَنْ هذا المكانِ، ولَنْ أطأَهُ بعدَ الآنِ.. لَنْ أطأَهُ بعدَ الآنِ..

وهكذا.. عاشَ الأصدقاءُ في أمانٍ ووئامٍ ومحبّةٍ..





القرد والغيلم

يُحكى أنَّ قرداً هَرِماً استطابَ العيشَ في شَجرةِ تينٍ مُثْمرةٍ، طَعْمُها طيِّبٌ، وتُطِلُّ على شاطئِ البَحرِ. وكانَ القردُ يَقضي مُعظمَ وقتِهِ برَمْيِ بَعضِ حبّاتِ التّينِ في الماءِ.

كانَ لِصوتِ رَمْيِ التّينِ في الماءِ رنينٌ، أَلِفَهُ القردُ، فراحَ يُكرِّرُ ذلكَ كُلَّ يومٍ.. إلى أنِ اكتَشفَ في أحدِ الأيّامِ، أنَّ غَيْلماً اعتادَ أيضاً أنْ يَرتاحَ في مكانٍ قريبٍ مِنَ الشَّجرةِ، فكانَ التّينُ الّذي يَرميهِ مِنْ نَصيبِهِ، ولأنَّ الأمرَ تكرَّرَ، فقد ظنَّ الغَيْلَمُ أنَّ القِردَ يَفعلُ ذلكَ تَودُّداً إليهِ، فبادرَ وعرضَ عليهِ الأخوّةَ والصَّداقَةَ..

وافقَ القِردُ على طَلبِ الغَيْلَمِ، وقرَّرَ أنْ يُصبِحا صَديقيْنِ.

ومرّتِ الأيّامُ والقردُ يَرمي التّينَ لِلغَيْلَمِ، والغَيْلَمُ يُحادِثُهُ ويُسامِرُهُ، ثُمَّ يَتنقّلانِ مَعاً في الجِوارِ.

ذاعَ صيتُ صَداقةِ الغَيْلَمِ والقردِ، فعرفَها كُلُّ مَنْ سَكَنَ تلكَ البُقعةِ ما عدا السُّلحفاةِ زوجةِ الغَيْلَمِ، الّتي بدأَتْ تَشكو طولَ غيابِ زَوْجِها.

وفي أحدِ الأيّامِ، جاءَها النُّصْحُ مِنْ إحدى جاراتِها، التي هَمَسَتْ لَها:

ما يُشغِلُ زوجَكِ هُوَ قردٌ يُسامرُهُ، ويَقضي مَعَهُ مُعظمَ الوقتِ.

إستاءَتِ السُّلَحْفاةُ، وشعرَتْ أنَّ زوجَها الغَيْلَمَ أساءَ إليها، عِندما خَبَّأَ عَنْها أمرَ تِلكَ الصَّداقةِ، ثُمَّ سألَتْ تِلكَ النّاصِحةَ: ولَكِنْ ما العملُ؟

وجاءَها النُّصحُ ثانيةً: عليكِ التَّخلُّصَ مِنْ هذا الصديقِ الطارئِ على حياتِكُما..

وبعدَ تفكيرٍ، اقتنعَتِ السُّلَحْفاةُ بالفِكرةِ، خاصَّةً أنَّ المُواجهةَ لَنْ تُفيدَ مَعَ الغَيْلَمِ، لأنَّه سيغضبُ ولَنْ يَقْتنِعَ برَأْيِها، وسيَعتبرَ ذلكَ تَدخُّلاً في شُؤونِهِ.

وبسرعةٍ، سألَتْ جارتَها: ولَكِنْ كيفَ نَتخلَّصُ مِنَ القردِ؟

ـ دعينا نُفكِّرْ في الأمرِ حتّى يومِ غدٍ..

وفي الغدِ.. ومنذُ الفجرِ.. أسرعَتِ الصَّديقةُ النّاصِحَةُ بالحلِّ.

ودارَ بينَ السُّلَحْفاةِ وصديقَتِها حديثٌ طَويلٌ حولَ الخُطَّةِ..

وبعدَ مرورِ أيامٍ، وعِندما لَمحَتِ السُّلَحْفاةُ زَوْجَها الغَيْلَمَ قادِماً، جلسَتْ مَهمومةً وحزينةً، تَئِنُّ وتتوجَّعُ، وجارتُها معها.

تفاجأَ الغَيْلَمُ واستعلمَ خَبَرَها فَقالَتْ: المرضُ.. المرضُ أنهكَني..

قالَ الغَيْلَمُ: سأَسْتَدعي لكِ الطَّبيبَ فوراً.

رَدَّتِ الجارةُ النّاصِحةُ: لا داعِيَ لِذلكَ، لأنّي فَعَلْتُ هذا..

ـ إذاً؟!..

ـ عليكَ تأمينَ الدَّواءِ. ردّتِ الجارةُ.

ـ وما هُوَ هذا الدَّواءُ؟ سألَ الغَيْلَمُ.

أجابَتْهُ الجارةُ: إنّهُ قَلْبُ قِردٍ هرمٍ.

ـ ولكِنّنا نعيشُ في الماءِ، والقرودُ بعيدةٌ عَنْ هذا المكانِ. قالَ الغَيْلَمُ.

عندَها أنَّتِ السُّلَحْفاةُ: آه.. آآ.. أكادُ أموتُ.

راحَ الغَيْلَمُ يفكِّرُ.. وهَتَفَ.. كيفَ نسيتُ؟ لقد وجدتُها. وبِسُرعَةٍ، انطلقَ إلى شاطئِ البحرِ. وفي الطريقِ راحَ يَحْبِكُ الخُطَّةَ.

رَحَّبَ القردُ بصديقِهِ.. إلاّأنَّهُ استغربَ تَغيُّرَ عباراتِهِ وحركاتِهِ وملامحِ وَجهِهِ.

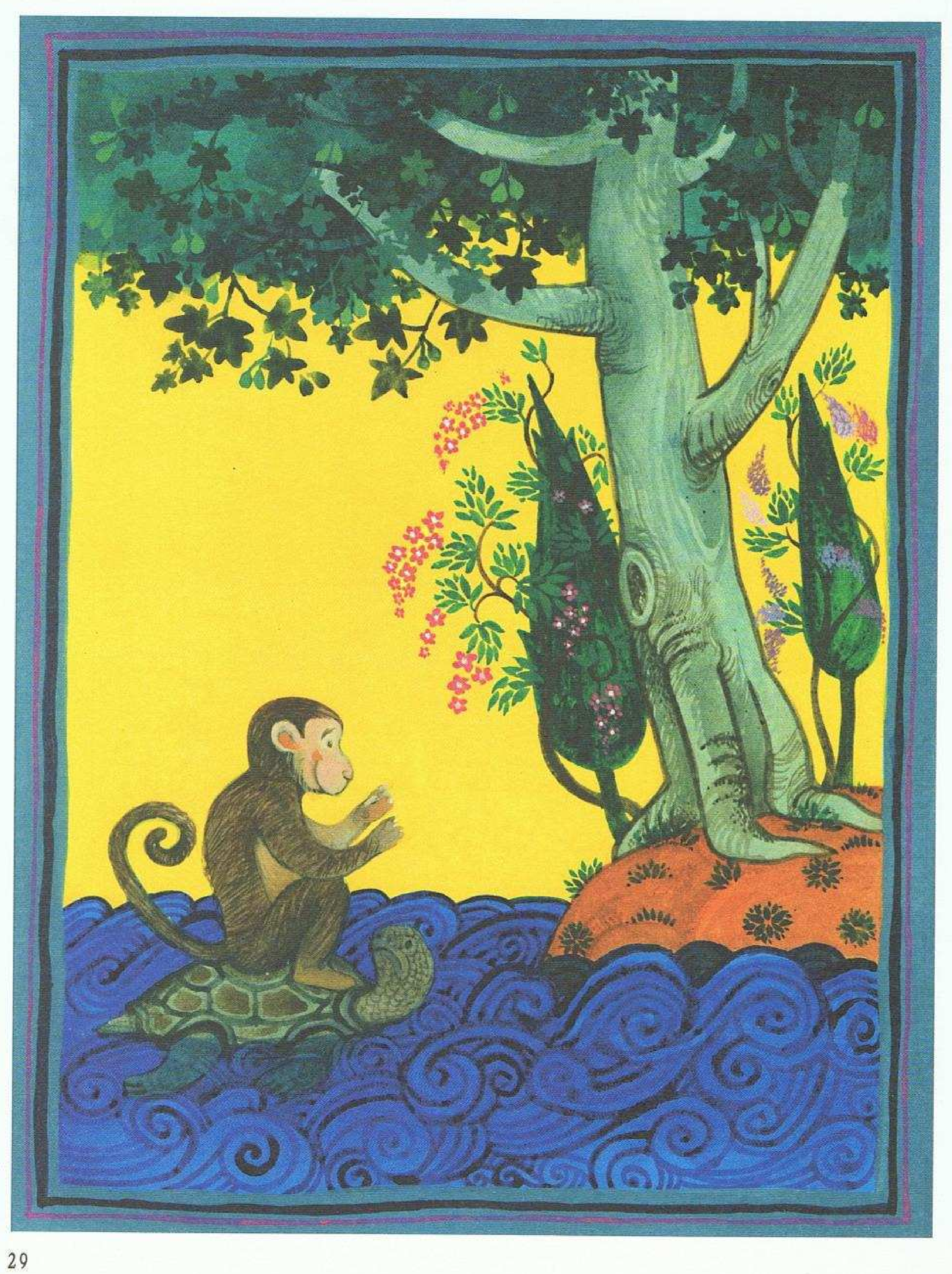
اِستدركَ الغَيْلَمُ، وقالَ: في الحقيقةِ أريدُ أنْ أعبِّرَ لكَ عَنْ صَداقتي.. وأدعوكَ إلى حيثُ نسكنُ، وستجدُ حولَنا ما لذَّ وطابَ. أنا أشعرُ بِالتّقصيرِ لأنّي لَمْ أَدْعُكَ مِنْ قبلُ.

ـ ولكنْ، كيفَ أتنقّلُ في الماءِ؟

ـ لا تَخَفْ.. أحمِلُكَ على ظَهري.. الفكرةُ فكرةُ زَوجَتي.. آه.. ذَكَّرتِني.. مِسكينَةٌ.. هدَّها المرضُ.

وافقَ القردُ، وصعدَ على ظهرِ الغَيلمِ، وسارَ بِهِ في الماءِ. مَرّتْ لحظاتُ سكونٍ.. اِرتابَ القردُ، فهوَ عجوزٌ هَرِمٌ، ولَهُ خِبرةٌ واسعةٌ في التعامُلِ مَعَ الآخرينَ.. شَعَرَ أنَّ الغَيْلَمَ ليس كَعادَتِهِ، ويَبدو أنَّهُ يُخْفي أمراً ما..

حاولَ القِردُ أنْ يستدرجَ الغَيْلَمَ، فسألَهُ عن مَرَضِ زوجَتِهِ.. وعَنِ الدواءِ..



وعَنْ.. وعَنْ.. فراحَ الغَيْلَمُ يَلِفُّ ويدورُ في الكلامِ، والقِردُ يَحتارُ في أمرِهِ.. حتّى جاءَهُ الجوابُ الصاعِقُ: دواءُ زَوجتي قَلبُ قردٍ عجوزٍ..

حبسَ القردُ أنفاسَهُ.. وشعرَ أنَّ قلبَهُ خرجَ من صدرِهِ، ولكنَّهُ تماسَكَ، وراحَ يُفكِّرُ في الحلِّ. وبكلِ هدوءٍ قالَ: ليتكَ أخبرتني مِنْ قَبْلِ أن نأتيَ..

توقّفَ الغَيْلَمُ قليلاً وقالَ: أَفْصِحْ يا صَديقي.

ـ ما لا تَعْرِفُهُ أَنّ القرودَ تَسلخُ قَلبَها، وتَتركُهُ في مَسكنِها.. فهي مُتعلِّقةٌ أشدَّ التّعلُّقِ بِالمَسكَنِ..

ـ والحلُّ؟

ـ نعودُ أدراجَنا لآتيكَ بالقلبِ.

وتقولُ الحكايةُ إنَّ الغيْلَمَ عادَ أدراجَهُ سابحاً، والقردُ على ظهرِهِ، وعِندما وصلا الشاطئَ، تَسلَّقَ القردُ الشّجرةَ واختفى.. فيما راحَ الغيْلَمُ يناديهِ.

ـ يا صَديقي.. هيّا زوجَتي بالانتظارِ.. هيّا يا صَديقي.. هيّا.

عندها، راحَ القردُ يضحكُ عالياً: ها ها ها ها.

ـ وما يُضحِكُكَ؟ سألَهُ الغَيْلَمُ.

ـ أنْ تناديني يا «صَديقي» بعدما ظهرَتْ نواياكَ.. هَيّا اذهبْ إلى زَوجتِكِ أيّها الغَيْلَمُ.. وقُلْ لَها إنَّ قلبَ القِردِ عادَ إلى صدرِهِ.

هيّا اغرُبْ عَنْ وجهي، لا أريدُ صداقَتَكَ بعدَ اليومِ.



الصيّاد والصَّدَفَة

يُحْكى أنَّ صياداً كانَ يَتصيَّدُ السَّمكَ في أحدِ الخُلْجانِ. رَمى الشَّبكةَ في الماءِ، وبعدَ مُرورِ وقتٍ طويلٍ وإذْ بِها تَصيدُ سمكةً، هِيَ قوتُ يومِهِ. هَمَّ الصَّيّادُ بِسَحْبِ الشَّبكةِ، وإذْ بِهِ يَلمحُ صَدَفَةً في عُمقِ الماءِ، فَظَنَّها جوهرةً، فما كانَ مِنْهُ إلاّ أنْ رمى بِنَفْسِهِ لِيَحْصُلَ على الصَّدفةِ تارِكاً الشَّبكةَ وما فيها.

اِنْتشلَ الصَّيادُ الصَدَفةَ بِفرحٍ غامرٍ، ولم يَطُلْ بِهِ الأمرُ حتّى اكتشفَ أنّها صَدَفةٌ فارغةٌ، لا قيمةَ لها، فندِمَ وأسرعَ إلى شَبكتِهِ، ولكنْ، بعدَ فواتِ الأوانِ، حيثُ وجدَ أنّ السَّمكةَ قَدْ غادرَتْها، وغابَتْ في أعماقِ الماءِ، فَجَلَسَ على الشاطِئِ يَنْدُبُ حظَّهُ.

الأرنب وملك الفيلة

كان يا ما كان في قَديمِ الزّمانِ، وفي بُقعةٍ خضراءَ مَلأى بعيونِ الماءِ والغدرانِ، عاشَتْ قبيلةٌ من الفِيَلَةِ تَنْعَمُ بِطعامٍ وافرٍ وماءٍ نَميرٍ.

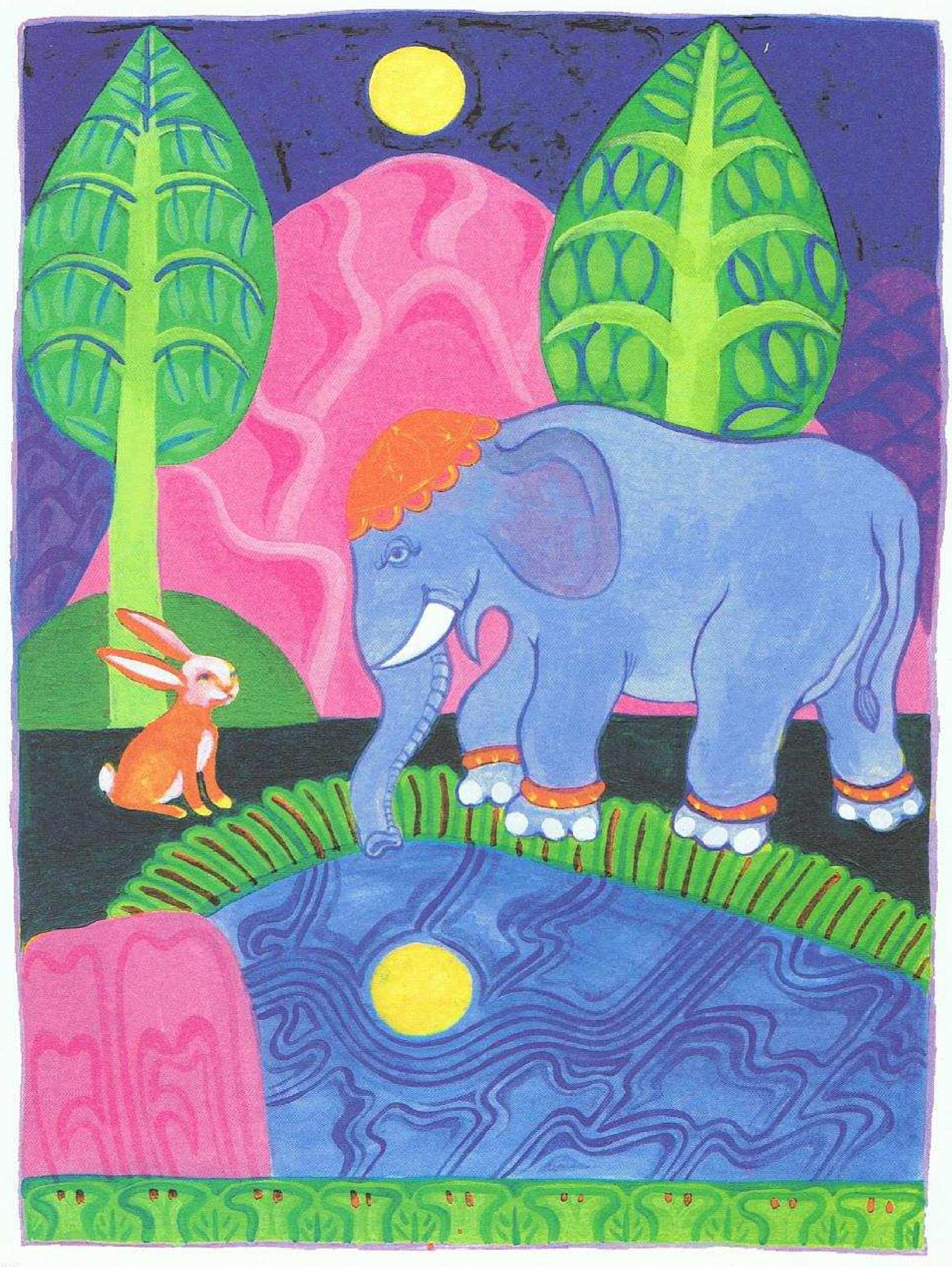
مَرّتِ السّنواتُ، وتوالَتْ، فَقلَّ الماءُ ويَبِسَ النباتُ حتّى ضاقَتِ القبيلةُ ذَرْعاً بالأمرِ، فراحَتْ تَشكو إلى مَلِكِها ما حَلَّ بِها. على الفَوْرِ، أرسلَ مَلِكُ الفِيَلَةِ الكَشّافَةَ لاستِطلاعِ المناطقِ المُحيطَةِ بهم، علَّهُم يَحْظَوْنَ بأرضٍ جديدةٍ تكونُ لَهم مَوطِناً.

بَعدَ بحثٍ طويلٍ ومُضْنٍ، أقبلَ رُسُلُ الملكِ إلى ناحيةٍ خضراءَ، فيها الماءُ والزرعُ، تُسمّى بِعينِ القمرِ.. وهي اسمٌ على مُسمّى، إذْ تَضُمُّ عيناً تَجري فيها المياهُ بيضاءَ كالقمرِ...

وصلَ الخبرُ إلى ملكِ الفِيَلَةِ، فأسرعَ ومَنْ مَعَهُ إلى عينِ القَمرِ للارتواءِ، والنَظَرِ في اتّخاذِ الأرضِ المُحيطةِ بِها مَوْطِناً جديداً.

وكانَتْ تسكنُ تلكَ الأرضَ منذُ مدّةٍ طويلةٍ جماعةٌ مِنَ الأرانبِ، هالَها منظرُ الفِيَلَةِ مُقْبلَةً نحوَ العينِ.





هاجَتِ الفِيَلَةُ وماجَتْ، وداسَتِ الأرانبَ في جُحورِها، وأَهلَكَتْ مِنها الكَثيرَ...

على الفورِ، هَرَعَتْ الأرانبُ إلى مَلِكِها، الّذي دعا كلَّ مَنْ لَهُ رَأْيٌ إلى اجْتماعٍ عاجِلٍ، للتّشاورِ واتّخاذِ القرارِ.



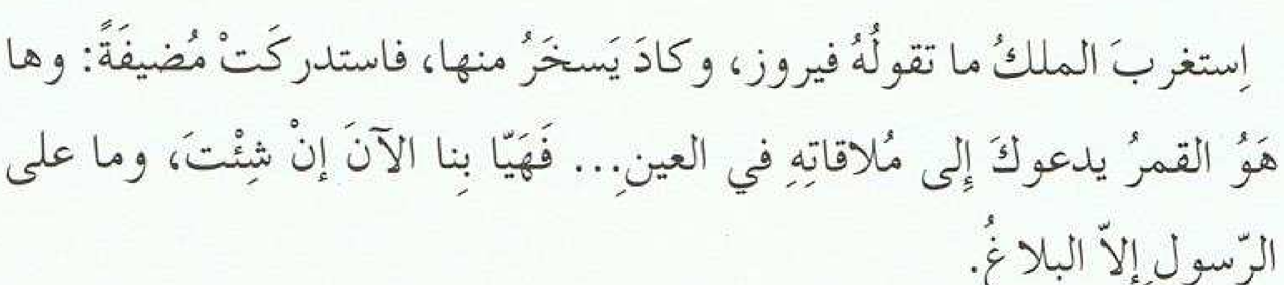
في الاجتماعِ، تنوّعَتِ الآراءُ بينَ الأرانبِ، فَمِنها من اقترحَ الانسِحابَ، وبَعضُها فَضّلَ المُواجَهَةَ والتَّصدي، واقترحَ آخرون المُفاوضةَ مَعَ الفِيَلَةِ.

وَحْدَها أرنبةٌ ذكيّةٌ تُسمّى فيروز، تقدّمَتْ بِخُطّةٍ تَقْضي بأنْ تتوجّهَ إلى مَلِكِ الفِيَلَةِ، يومَ يَنْتَصِفُ الشَّهرُ القَمَري، إذْ يكونُ القمرُ بدراً.

كانَ الملكُ وأفرادُ القريةِ يَثِقونَ بِرَجاحَةِ عَقْلِ فيروز، فأصدَرَ أوامِرَهُ بالسَّماحِ لَها أن تُنفِّذَ خُطَّتَها.

وفي اليومِ المَوْعودِ، تَمنّتْ جميعُ الأرانبِ التّوفيقَ لفيروز، ثُمَّ اختبأَتْ في جُحورِها تَنتظِرُ النَّتيجَةَ.

أَقبلَتْ فيروز نَحوَ جَماعَةِ الفِيَلَةِ. وبِكُلِّ حَذَرٍ، نادَتْ مَلِكَ الفِيَلَةِ، وقدّمَتْ نفسَها كَرَسولِ القَمرِ إليهِ، وأنّها تَوَدُّ مُحادَثَتَهُ شَخصياً.



وبإشارةٍ مِنْ مَلِكِها، ابتعدَتِ الفِيَلَةُ الأُخرى، الّتي كادَتْ تَدْهَسُ فيروز في الطَّريقِ.

تَوجَّهَتْ فيروز نحوَ الملكِ بالقول: أنا رسولُ القَمرِ إليكَ، وهوَ يُحَذِّرُكَ مِنْ أنْ تَطَأَ بعدَ اليومِ عَيْناً تسمّى باسْمِهِ... لقدْ خَرَّبْتَ أرضَها، وكَدَّرْتَ ماءَها... ولَوْ كرَّرْتَ ذلكَ فإنَّكَ هالِكٌ لا مَحالةَ...

اِستغربَ الملكُ ما تقولُهُ فيروز، وكادَ يَسخَرُ منها، فاستدركَتْ مُضيفَةً: وها هُوَ القمرُ يدعوكَ إلى مُلاقاتِهِ في العينِ... فَهَيّا بنا الآنَ إنْ شِئْتَ، وما على الرّسولِ إلاّ البلاغُ.

اِنطلقَ الملكُ وجماعتُهُ، تَتَقدَّمُهُ فيروز، وعندما أدركوا العينَ، أشارَتْ فيروز إلى المَلكِ أنْ يَنظرَ، وكانَتْ صورةُ القمرِ باديةً في الماءِ، ثُمّ طَلَبَتْ منهُ بالنيابةِ عَنِ القمرِ أنْ يَمُدَّ خُرطومَهُ لِيرتويَ... وما إنْ مَدَّ ملكُ الفِيَلَةِ خُرطومَهُ إلى العينِ لِيَشُفَّ الماءَ... حتّى اهتزَّتْ صَفحةُ الماءِ، وبالتّالي اهتزَّتْ صورةُ القمرِ، فَبَدا كأنَّهُ يرتعدُ غَضباً. جَفَلَ ملكُ الفِيَلَةِ، وابتعدَ خائفاً مِنْ أَنْ تُصيبَهُ لَعنةُ إغضابِ القمرِ، ثُمَّ تراجعَ إلى الخَلْفِ، وأَقسمَ لِفيروز بِأَنَّهُ لَنْ يُغضِبَ القمرَ ثانيةً، ولنْ يَطَأَ «عينَهُ» لا هوَ ولا أحدٌ مِنْ رَعيَّتِهِ، وقَفَلوا عائِدينَ.

وعادَتْ فيروز إلى جماعَتِها مَزْهوّةً فرحانةً بالنَّصْرِ، الّذي حَقَّقَتْهُ.

الشريكان

كان يا ما كان، في أحدِ أحياءِ البَصرةِ، تاجرٌ مشهورٌ بأمانتِهِ، يَعملُ في بَيْعِ الحُبوبِ على أنواعِها، وكان يُدْعى مَنْصور.

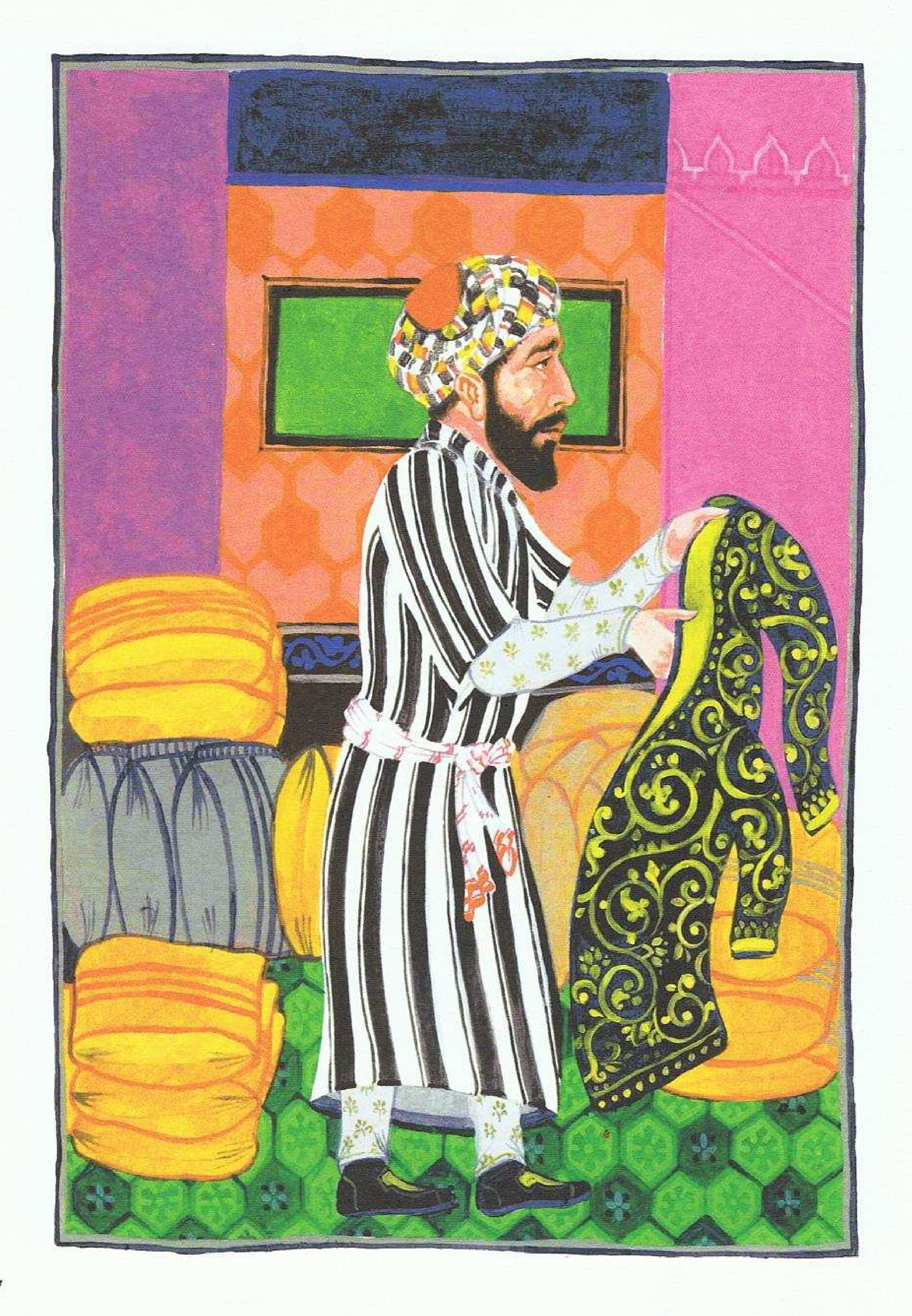
في أحدِ الأيامِ، جاءَهُ رجلٌ يُدْعى سَعْد يعرُضُ عليهِ الشَّراكَةَ في تِجارَتِهِ، فوافَقَ. وامتلَكَ الشَّريكانِ لأَجْلِ ذلكَ حانوتاً، يَضعانِ فيهِ أعدالَ الحِنْطَةِ والشَّعيرِ والقَمحِ وغيرِها...

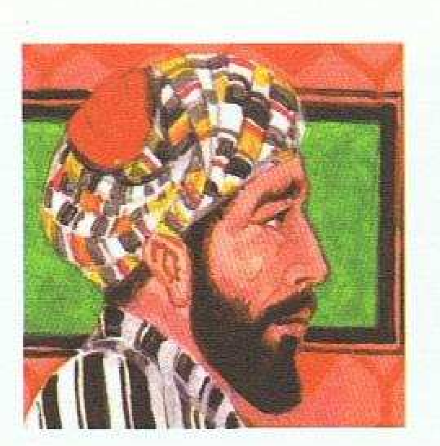
وكانَ الشَّريكانِ يَقْتَسِمانِ هذا الحانوتَ، ويقتَسِمانِ البضاعةَ فيهِ أيضاً.

في أحدِ الأيامِ، خطرَ في بالِ سَعْد خاطرُ سوءٍ... فقرَّرَ أنْ ينقلَ عِدْلاً مِنْ أعدالِ شَريكِهِ إلى بيتِهِ... وأنْ يفعلَ ذلكَ لَيْلاً... ولكنْ، قد تُواجِهُهُ مُشكلةٌ في الليلِ، حينَ تكونُ الظُّلمةُ شديدةً، وضوْءُ الفانوسِ لا يَكْفي، إذ لا بُدَّ مِنْ علامةٍ للتَّمييزِ بينَ الأعْدالِ. لِهذا جاءَتْهُ فِكرةٌ نَفَّذَها قبلَ مُغادرتِهِ الحانوتَ.

خَلَعَ الرَّجلُ رِداءَهُ، ووضعَهُ فوقَ عِدْلٍ مِنْ أعدالِ شَريكِهِ... لعلَّ في هذا إشارةً سريعةً، تُسهِّلُ عليهِ مَهمَّتَهُ. وغادرَ الحانوتَ على أملِ العودةِ إليهِ ليلاً.

وشاءَتِ المُصادَفَةُ بعدَ ذلكَ مُباشرةً، أنْ قَدِمَ مَنْصور إلى الحانوتِ لِتوضيبِ حِصَّتِهِ وعدِّها، وإذْ بِهِ يلمحُ رداءَ سَعْد على عِدْلٍ من أعدالِهِ هُوَ، ففكَّرَ في صاحبِهِ... وأيقَنَ أنَّهُ لا شَكَّ قَدْ نَسِيَهُ.



حملَ الرِّداءَ ووضعَهُ في المكانِ الّذي يَجِبُ أنْ يكونَ فيهِ، أيْ على أعدالِ شَريكِهِ... لعلّه افْتَقَدَهُ، وعادَ ليأخُذَهُ.

بعدَ ذلكَ أقفلَ مَنْصور الحانوتَ وغادرَ.

وعِندَما جاءَ الليلُ، حضرَ سَعْد إلى الحانوتِ، بِصُحبةِ عاملٍ، ساعدَهُ في نَقْلِ العِدْلِ على حمارِهِ مقابِلَ أجرٍ، مَعَ وعْدٍ بعدمِ إفشاءِ سرِّهِ لأحدٍ.

وفي الصباحِ، أسرعَ نحوَ الحانوتِ، وإذْ بهِ يَرى شريكَهُ مَهْموماً، مَغْموماً، يَنْدُبُ حَظَّهُ... وعِندَما اسْتَفْسَرَ عَنِ الأمرِ... رَوى لَهُ مَنْصور ما حصلَ معهُ بالأمسِ، وما حَصلَ في هذا الصّباحِ، عِندما لَمْ يَجِدِ الرِّداءَ ولا العِدلَ... وهُوَ الآنَ موضِعُ التُّهمَةِ، وحاضراً للتّعويضِ مِنْ حِصَّتِهِ، في حالِ لَمْ يُصَدِّقْهُ... هنا صُدِمَ سَعْد بما سَمِعَ، وشعرَ بالنَّدمِ الشَّديدِ، وبالغُمَّةِ تُطْبِقُ على صدرِهِ.. فاعترفَ بِفِعْلتِهِ، ورَجا صاحِبَهُ أنْ يُسامِحَهُ، وأنّه تابَ لِلّهِ توبةً نصوحاً، ولَنْ يعودَ لِمِثْلِها أبداً، فما كانَ مِن منصور إلاّ أنْ سامحه وأعرضَ عَنْ تَوبيخِهِ، وتقول الحكاية أنّه ظَلَّ حَذِراً منهُ طوالَ مدّةِ شراكتِهِ.

ابن الملك وأصحابه

يُحكى أنَّ ابنَ ملكٍ خرجَ هائِماً على وَجهِهِ، في بلادِ اللهِ الواسعةِ، لمُشكِلةٍ حصلَتْ في البَلادِ بعدَ وفاةِ والدِهِ، فالتقى في طريقِهِ ثلاثةَ أشخاصٍ: ابنَ تاجرٍ، وابنَ شريفٍ جميلَ المَظهرِ، وابنَ أكّارٍ (صاحب مهنة). وكانَ الجميعُ مُتعَبينَ مُنْهَكينَ. فراحوا يَتحدَّثونَ عَنْ أهمِّ شيءٍ في هذهِ الحياةِ.

قال ابنُ الملكِ: إنَّ أمرَ الدُّنيا كُلَّهُ بالقَضاءِ والقَدرِ.

وقالَ ابنُ التّاجرِ: أهمُّ شيءٍ هُوَ العَقْلُ.

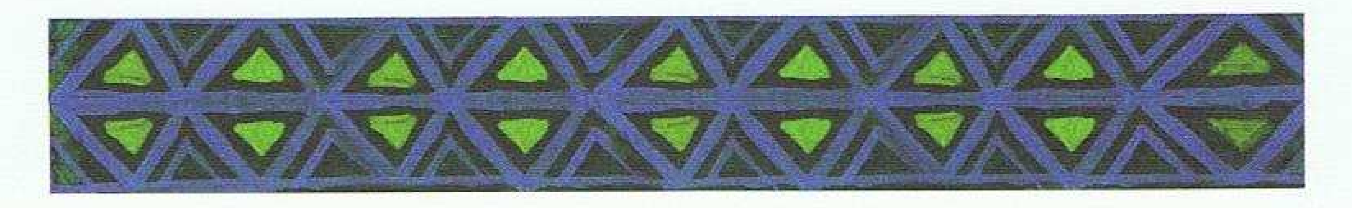
وقالَ ابنُ الشَّريفِ: الجمالُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شيءٍ.

وقالَ ابنُ الأكّارِ: أفضلُ شيءٍ هُوَ الاجتهادُ في العملِ.

سارَ الجميعُ حتّى وَصلوا مدينةً، يُقالُ لها (مطرون)، فقالوا لابنِ الأكّارِ: إذهَبْ وأَرِنا كَيْفَ تَكْتَسِبُ لَنا بِعملِكَ ما يُطْعِمُنا في هذا اليومِ.

اِنْطَلَقَ الشّابُ، وعَمِلَ في الحَطبِ، واجْتهدَ في عَملِهِ حتّى احْتَطَبَ حُزمةً كبيرةً، باعَها بِدرْهَمٍ، واشْتَرى طَعاماً. ثم خرجَ مِنَ المدينةِ، وكتبَ على بابِها: عَمَلُ يوم واحدٍ، إذا اجْتهدَ فيهِ الإنسانُ، بِدرهمٍ.

في اليومِ الثّاني، ذهبَ ابنُ الشَّريفِ، ذو الجَمالِ إلى المدينةِ، ولكِنَّهُ كانَ لا



يُتْقِنُ أيَّ عملٍ... خجلَ مِنْ نفسِهِ، وجلسَ في ظِلِّ شَجرةٍ حتّى غَلَبَهُ النَّومُ فنامَ.

صُودِفَ أنْ مرَّ بِهِ رجلٌ مُصوِّرٌ، أعجبَهُ مَنظرُ الرَّجلِ وحُسنُهُ، وفكَّرَ أنْ يُصوِّرَهُ، ويَبيعَ صُورَهُ، فأيقَظَهُ، واصْطَحَبَهُ معهُ إلى منزلِهِ. صَوَّرَهُ صُوَراً كثيرةً، حتّى إذا انْقَضى النَّهارُ أعطاهُ مِئةَ دِرهمٍ.

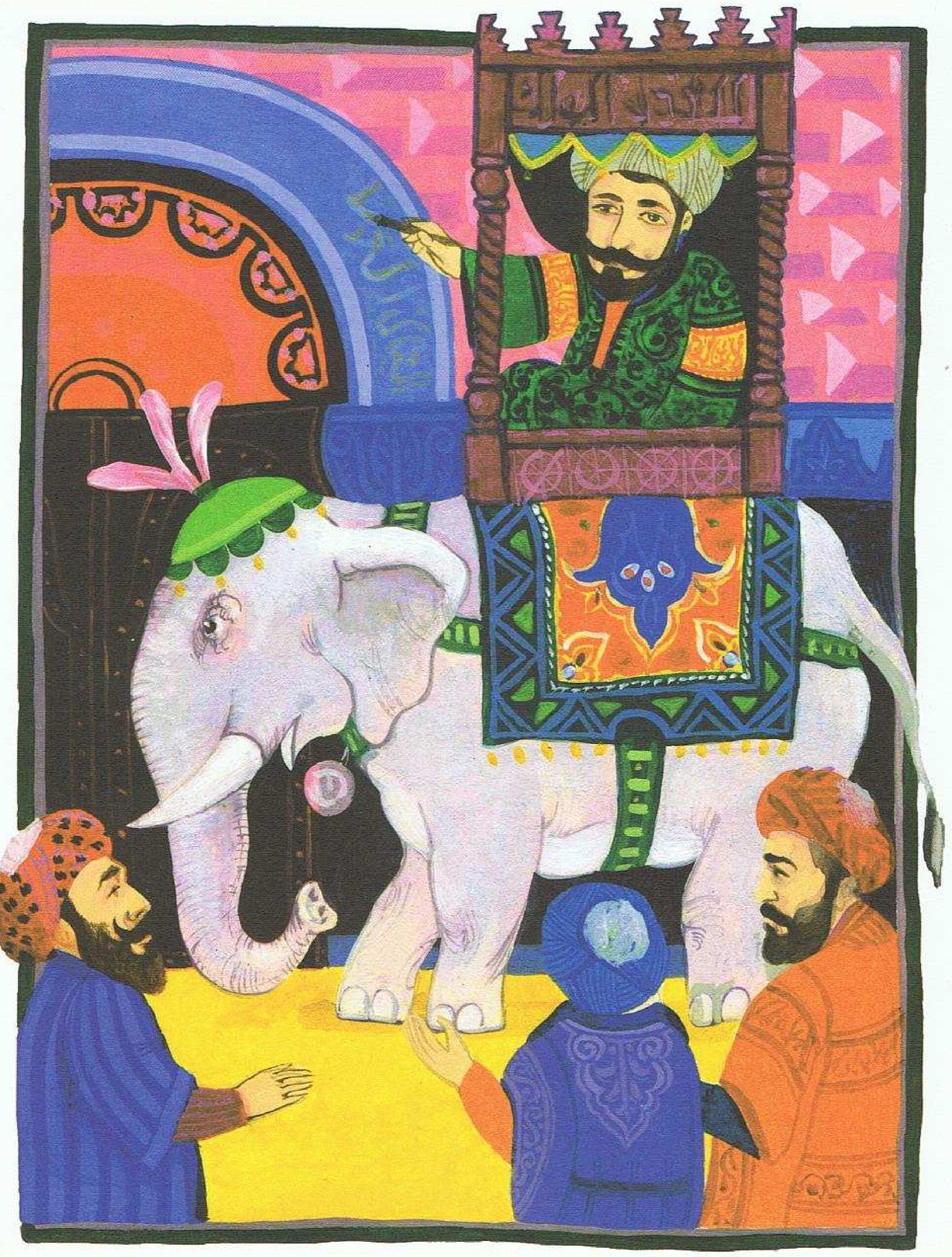
فَرِحَ الشّابُ، واشترى طَعاماً، وفي طريقِ العَوْدَةِ، كتبَ على بابِ المدينةِ:
جمالُ يوم واحدٍ يُساوي مِئَةَ دِرهمٍ.

في اليومِ الثّالثِ انطلقَ ابنُ التّاجرِ، ودخلَ المدينةَ حتّى وصلَ الشّاطئَ، فرأى سَفينةً مُحَمَّلَةً بِالبَضائعِ، والتُّجّارُ مُتَحلِّقونَ حولَها يُفكِّرونَ... عَرِفَ أنَّهُمْ يَنْوونَ أنْ يُؤَخِّروا إفْراغَ حُمولَتِها لِيومٍ واحدٍ كي تَكْسَدَ البَضائعَ، ويرخَصَ ثَمنُها...

هنا، تدخَّلَ الشّابُ ابنُ التّاجرِ، وعَرضَ على صاحبِ السَّفينةِ شِراءَ البِضاعةِ، وادّعى أنّهُ سيأخُذُها إلى مدينةٍ أخرى. عِنْدَها، خافَ التُّجّارُ كثيراً، وأسرعوا لِيَعرِضوا عَلَيهِ ألفَ دِرْهمٍ مُقابِلَ أنْ يَتنازلَ لَهُمْ عَنِ البَضائعِ فَيشتروها.

وبِهذِهِ الطَّريقةِ، حصلَ ابنُ التّاجرِ على ألفِ دِرهَمٍ. اشترى قوتَهُ وقوتَ رفاقِهِ، وعادَ لِيَكْتُبَ على بابِ المدينةِ: عَقْلُ يومٍ واحدٍ ثَمَنُهُ ألفُ دِرهَمٍ.

وفي اليومِ الرابعِ، انطلقَ الشّابُ ابنُ الملكِ، وجلسَ على بابِ المدينةِ إيّاها، وصودِفَ أنْ ماتَ مَلِكُها، ولَمْ يَكُنْ لَهُ ولدٌ يَخلِفُهُ في الحُكْمِ...



مَرَّتْ جنازةُ الملكِ، والكلُّ حزينٌ ما عدا ذلكَ الشّابَ....

غَضِبَ مِنْهُ الحرسُ، ومَنعوهُ مِنَ الجلوسِ هُناكَ. وبعدَ ذلكَ عادَ إلى مكانِهِ، فغَضِبوا مِنْ عدمِ اكْتِراثِهِ بموتِ الملكِ، وجاءَتِ الشُّرطةُ وسَجَنَتْهُ.

في اليومِ التّالي، اجتمعَ أهلُ المدينةِ لِيَتشاوَروا في أمرِ المَلكِ الجَديدِ، وكلُّهم حُزْنٌ لِما حلَّ بِهِم. هُنا، تَدخَّلَ أحدُ الحُرّاسِ، وأخبرَهُمْ عَنْ ذلكَ الرَّجلِ غيرِ المُبالي، الّذي تَبدو عليهِ إماراتُ العِزِّ والشَّرفِ.

بعثَ أشرافُ المدينةِ بِطلبِ ذلكَ الشّابِ.. ولمّا حضرَ سألوهُ عَنْ حالِهِ، وكيف وصلَ إليهِ. فأخبرَهُم أنَّهُ ابنُ ملكٍ ماتَ، فاسْتَولى أَخوهُ على المُلْكِ، وطَرَدَهُ، فهامَ على وجهِهِ حتّى وصلَ إليهم...

أَثْنى أهلُ المدينةِ على الملكِ والدِ ذلكَ الشّابِ، فهُمْ يَعرفونَهُ جيِّداً. وقرَّروا أنْ يَختاروا وَلَدَهُ مَلِكاً عَليهم...

حملَ أهلُ المدينةِ ملكَهُم الجديدَ على فيلٍ أبيضَ، وطافوا بِهِ حولَ المدينةِ، ولمّا مرّوا بالبابِ رأى الكتابةَ عليهِ، فكتبَ بِدَوْرِهِ العبارةَ التاليةَ: إنَّ الاجتهادَ والجمالَ والعقلَ، وما أصابَ الإنسانُ في هذهِ الدُّنيا مِنْ خيرٍ وشرٍّ، إنّما هُوَ بِقضاءِ اللهِ عَزَّ وجلَّ قَدْرُهُ.

اِعْتلى الشّابُ العرشَ، وأرسَلَ بِطلبِ أصدقائِهِ الثلاثةِ... لِيُعاونوهُ في الحُكْمِ.

وتقولُ الحكايةُ إنهم كانوا خَيْرَ مَنْ حَكَمَ تِلْكَ المدينةَ.

القملة والبرغوث

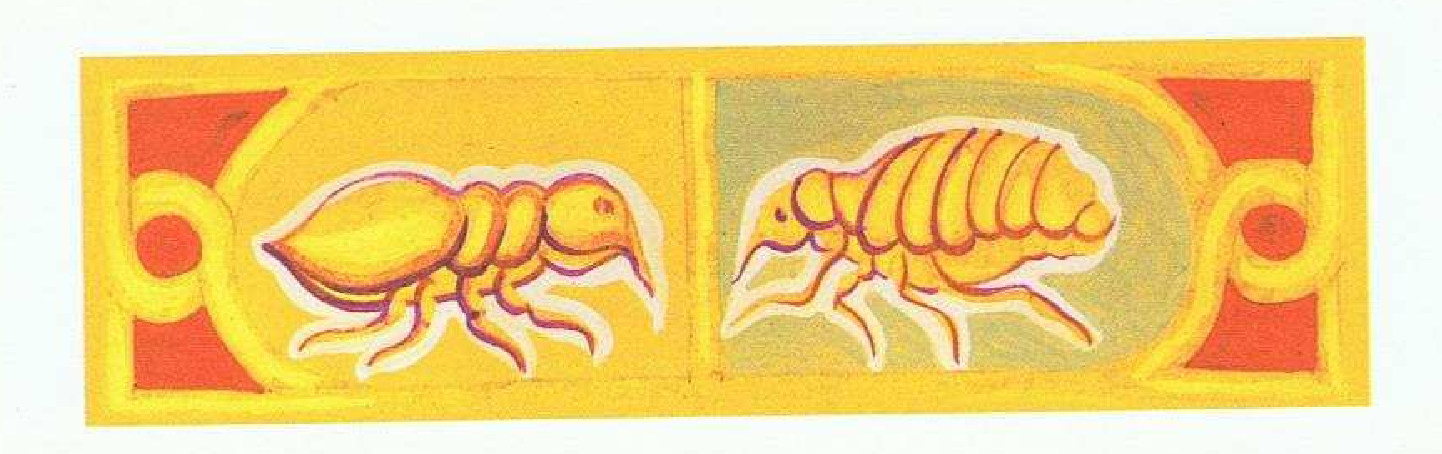
يُحْكى أنَّ قَمْلَةً كانَتْ تعيشُ، في فِراشِ رَجلٍ مِنَ الأغنياءِ عيشَةً هنيّةً، وعِندما ينامُ الرَّجلُ، كانَتْ هذهِ القَمْلَةُ تَدُبُّ دَبيباً خافِتاً، تَسعى إلى جِسْمِهِ، وتَمْتَصُّ مِنْ دَمِهِ ما يُشْبِعُها، دونَ أنْ يشعرَ هو بأيِّ شيءٍ.

في أحدِ الأيامِ، جاءَ بَرغوثٌ لِزيارَتِها، فطَلَبَتْ منهُ أنْ يَنْزِلَ ضَيْفاً عِندها.

في الليلِ، حطَّ البَرغوثُ على جسمِ الرَّجلِ، ولَسَعَهُ لَسعةً أطارَتْ صَوابَهُ.

اِستيقظَ الرَّجلُ وإذْ بهِ يرى القَمْلَةَ على بَدَنِهِ، فظَنَّها هِيَ فضَرَبَها ضربةً قاضيةً.

أمّا البرغوثُ، فكانَ قَدْ فَرَّ بعيداً.



الأسد والأرنب

كان يا ما كان، وفي عالمِ الحيوانِ، مجموعةٌ تَضُمُّ غزلاناً وحميراً وأرانبَ وحُمُراً وحشيّةً وطيوراً، كانَتْ تعيشُ في سعادةٍ وهناءٍ، في أرضٍ خضراءِ المرعى، فيها ماءٌ وفيرٌ وظلٌّ نميرٌ..

لَمْ يَكُنْ يُعكِّرُ صَفْوَ عَيْشِ هذهِ الجماعةِ سوى غاراتِ الأسدِ، كُلّما جاعَ، لِيَحظى بعدَها بِدابّةٍ مِنهم، ويَبْقوا طوالَ الوقتِ في حالةِ خَوْفٍ ورُعْبٍ شديدين.

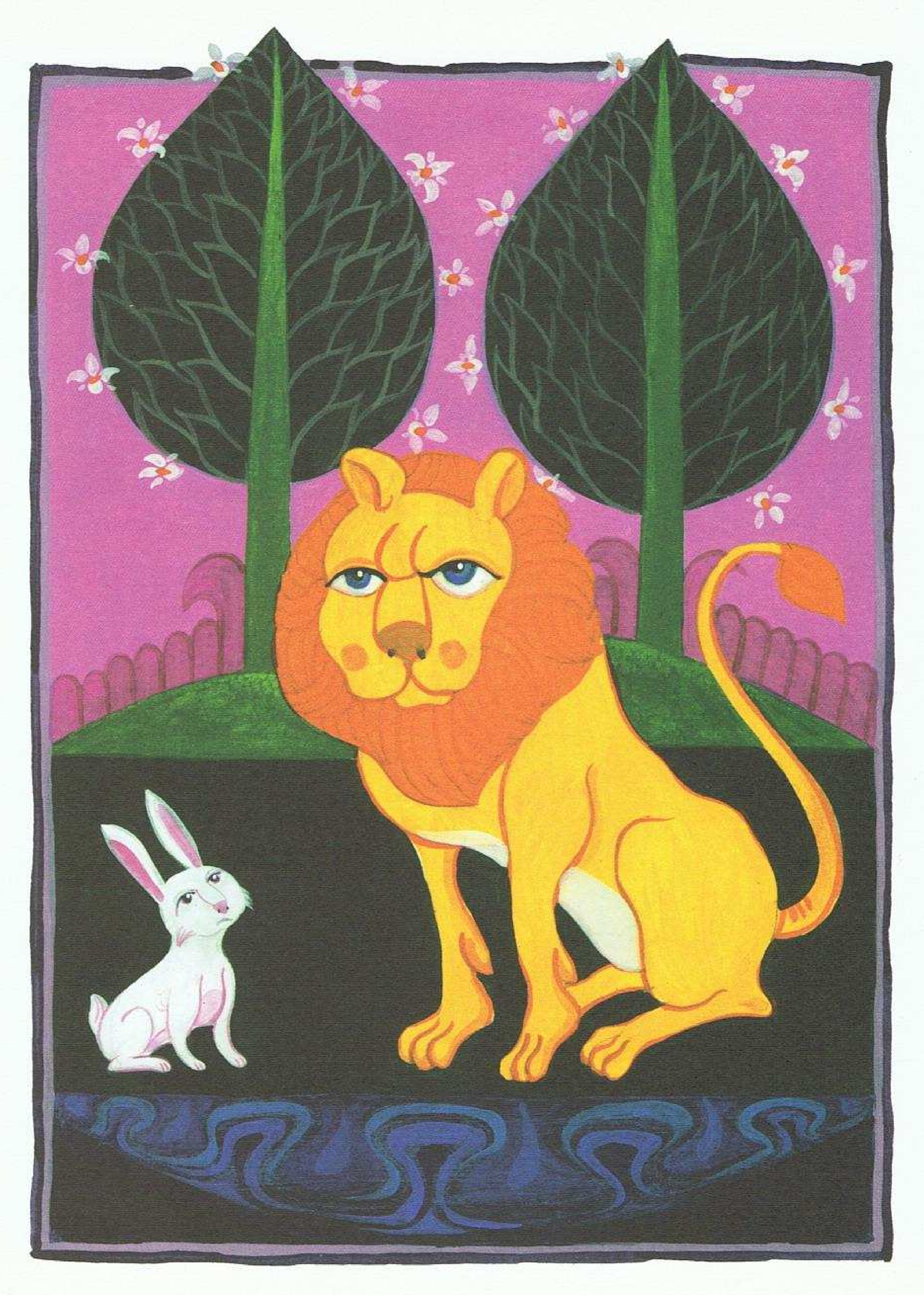
فكّرتِ الحيواناتُ في ما بَيْنها لِتَجِدَ حَلاً لِلحالةِ الّتي تعيشُها مَعَ الأسدِ، وارتأَتْ أنْ تَعْقِدَ اتّفاقاً مَعَهُ..

تَوَجَّهَتْ جَماعةٌ مِنْهم إلى الأسدِ، عَرَضَتْ عليهِ التّكفُلَ بِطعامِهِ يومياً، شَرْطَ أنْ يَكُفَّ عَنِ الهُجومِ أوِ الزّئيرِ.

وافقَ الأسدُ بالطّبعِ.. فما أحلى أن تُقدَّمَ إليهِ دابّةٌ كُلَّ يومٍ، وتكونَ طعامَ غدائِهِ، مِنْ دونِ أنْ يبذُلَ مَجهوداً يُذكَرُ!.

وصارَتِ الحيواناتُ تُجري قُرعةً كلَّ يومٍ، لِتُحدِّدَ مَنْ مِنْها سَيكونُ الضّحيّةَ..

ومرَّتِ الأيامُ على هذهِ الحالِ..



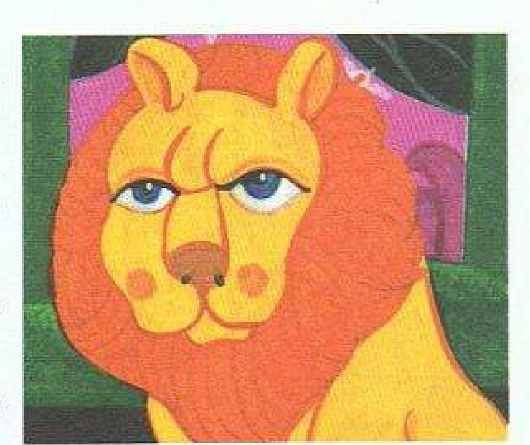
إلى أنْ جاءَ يومٌ، رَستْ فيهِ القُرعةُ على أرنبٍ ذكيّةٍ، ساءَها أنْ تَسْتَسْلِمَ لِقَدَرِها، وتكونَ طعاماً للأسدِ، ولَكِنَّها في الوقتِ نفسِهِ لا يُمْكِنُها الخروجُ على رأيِ الجماعةِ..

فكّرتِ الأرنبُ الذكيّةُ بِوسيلةٍ تُنجيها، ورأَتْ أَنَّهُ لا بُدَّ مِنَ الحيلةِ. لِهذا طَلَبَتْ مِنْ جَماعتِها أنْ تُعينَها على تنفيذِ خُطَّتِها، الّتي تَقْضي أنْ لا يُسْرِعَ مَنْ يَحمِلُها للأسدِ، بَلْ يتأخَّرَ ويَتباطَأَ.

قَبِلَتِ الحيواناتُ بِالفكرةِ لِترى إنْ كانَ بإمكانِ هذهِ الأرنبِ إنقاذُهُم، وتَخْليصُهُم مِنَ الأسدِ كما تَدَّعي.

تباطأَتِ الأرانبُ حتّى مَضى وقتُ غَداءِ الأسدِ.. بعدَ ذلكَ تُرِكَتِ الأرنبُ الذكيّةُ وحدَها تقتربُ مِنَ الأسدِ..

في هذهِ الأثناءِ، كانَ الأسدُ يَسْتَشيطُ غَضَباً، فصاحَ بها: أينَ كُنتِ.. لِماذا تأخّرتِ.. أينَ غَدائي. هل أخْلَفَتْ جَماعَتُكِ الوعدَ؟



- مهلاً سَيِّدي الأسدَ.. لا تَستعجلْ، كُنتُ أحمِلُ إليكَ حِصَّتَكَ اليومَ مِنَ الأرانبِ. إلا أنَّ أسداً اعترضَ طريقي، وهو يَسكُنُ غيرَ بعيدٍ مِنْ هُنا، وهَدَّدَني وخطفَ مِنّي غداءَكَ، وطلبَ مِنّي أنْ أُبَلِّغَكَ..

ـ تُبَلِّغيني ماذا؟

ـ أبَلِّغُكَ.. ما تفوّهَ بِهِ مِنْ سَبٍّ وشَتيمةٍ لِمقامِكَ سَيّدي..

زأرَ الأسدُ وقالَ: هكذا إذاً.. هَيّا معي لِتُريني أينَ هوَ ذاكَ الأسدُ..

فرحَتِ الأرنبُ في نَفْسِها، فَها هِيَ خِطَّتُها بدأَتْ تَنجحُ. فسارَتِ وخَلْفَها الأسدُ حتّى وَصلا إلى بئرٍ عميقةٍ.

نظرَ الأسدُ في صَفحةِ الماءِ، فرأى بِالفِعلِ أسداً آخرَ، ومَعَهُ أرنَبٌ تَقِفُ إلى جانبِهِ..

لَمْ يتمالَكْ نَفْسَهُ، بَلْ زأرَ زئيرَ الغَضبِ، وألقى بِنَفْسِهِ في البِئرِ.. ظَنّاً مِنْهُ أنَّهُ سَيُصارِعُ خَصْمَهُ، فَغرِقَ.

اِنطلقَتِ الأرنبُ إلى جَماعتِها مِنَ الحيواناتِ، وأعلمَتْها بِالنتيجَةِ، وكانَت الفَرحةُ عارِمةً..

وظَلَّتْ هذهِ الجَماعةُ جيلاً بَعْدَ جيلٍ تذْكُرُ تلكَ الأرنبَ الذكيّةَ، الّتي خَلَّصَتْ نَفْسَها و أجدادَها يوماً مِنْ بَراثِنِ الأسدِ..

التّاجر وصاحبه

عندما قرَّرَ التّاجرُ حمدانُ السَّفرَ في تِجارةٍ طويلةٍ، لَمْ يَجِدْ أفضلَ مِنْ صَديقِهِ سعدون لِيودِعَ عِنْدَهُ أمانَةً، هي كميّةٌ كبيرةٌ مِنْ معدنِ الحديدِ.

رَحَّبَ سعدون بِحمدان، وخَبّأَ لَهُ الحديدَ في أحدِ مَخازِنِهِ، ودعا لَهُ بِالخيرِ.

ومرَّتِ الأيّامُ والأسابيعُ والشّهورُ، حتّى أنَّ سعدون ظَنَّ أنَّ صَديقَهُ لَنْ يَرجِعَ.

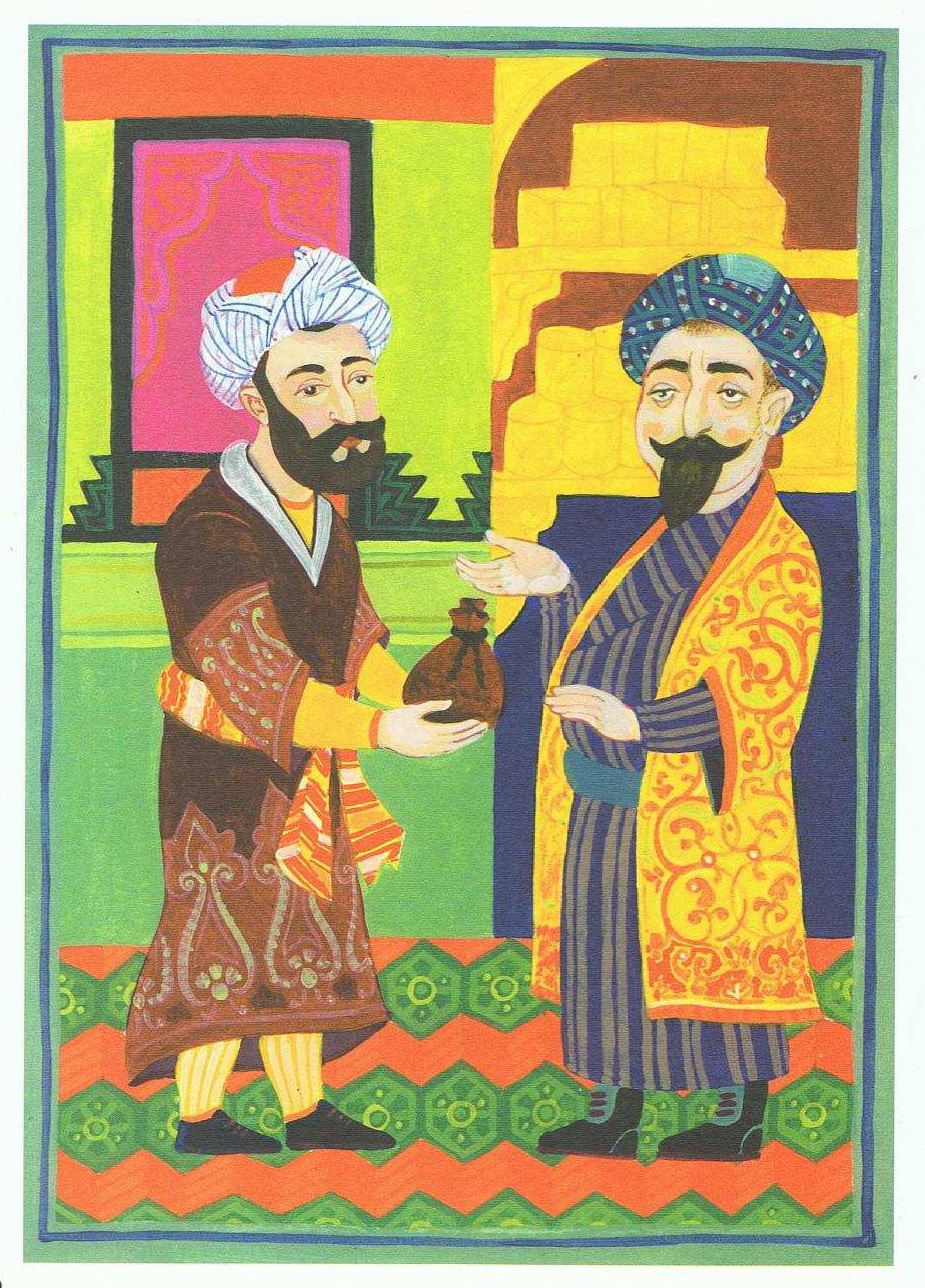
وما هِيَ إلاّ مُدَّةٌ حتّى عادَ حمدان مِنْ سَفرِهِ. وبعدَ أيامٍ تَوجَّهَ إلى صديقِهِ سعدون لِيَستردَّ حديدَهُ.

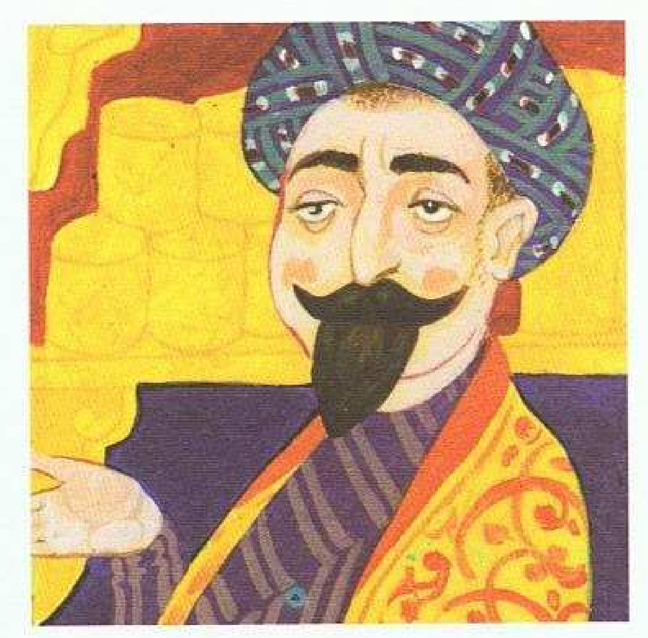
اِستقبلَ سعدون حمدان والإرباكُ واضِحٌ على وَجهِهِ.. وعندما طلبَ حمدان استردادَ الأمانةِ اصْطَحَبَهُ سعدون إلى المَخزنِ، حيثُ كانَتِ المُفاجأةُ، فالحديدُ غيرُ موجودٍ، وسعدون يقولُ إنَّ الجُرذانَ هِيَ الفاعِلَةُ، وإنّها لا شَكَّ أكلتْهُ...

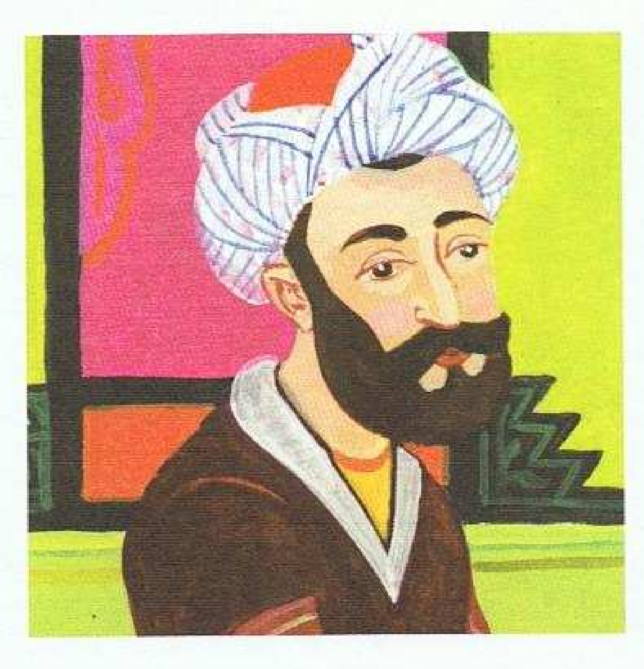
وَسْطَ ذُهولِهِ، لَمْ يردَّ حمدان، بَلْ هَزَّ برأسِهِ مُغادراً، والصَّدمَةُ تَغْشاهُ مِنْ خيانَةِ صديقِهِ مِنْ جهةٍ، وخسارةِ حديدِهِ مِنْ جهةٍ أُخرى..

راحَتِ الأفكارُ تَتَقاذَفُهُ، ويقلّبُها في رأسِهِ: فما ادّعاهُ سعدون إنّما هُوَ اسْتِخفافٌ بِعقلِهِ...

وبينما هُوَ كذلِكَ، التَقى بابنِ سعدون، فَسَلَّمَ عليْهِ وعانَقَهُ، وعلى الفَوْرِ







خطرَتْ في بالِهِ فكرةٌ نفَّذَها في الحالِ، إذْ أخبرَ الصبيَّ بما حَدَثَ، وطلبَ منهُ أن يلعَبَ مع وَلَدِهِ بقيَّةَ النَّهارِ، ثُمَّ يُعيدُهُ إلى البيتِ.

وبعدَ مَضيِّ بِضعِ ساعاتٍ توجَّهَ حمدان إلى بيتِ سعدون، وإذْ بالنّاسِ مُجتمعةٌ عندَهُ. وهُوَ يَلْطُمُ خَدَّهُ..

- ما الأمرُ..؟ سألَ حمدان.

أخبروهُ أنَّ ابنَ سعدون اخْتَفى، ولا أثرَ لَهُ في الحيّ..

إدّعى حمدان أنَّهُ يَتذكَّرُ.. وقالَ: مهلاً.. أذكرُ أنَّني رأيتُهُ.

- صحيحٌ... أينَ؟

- في الطَّريقِ.. حيثُ حطَّ قُرْبَهُ أحدُ الطيورِ فجأةً، ثُمَّ حَمَلَهُ بِمَخالِبِهِ وطارَ بِهِ..

- ماذا.. طارَ بِهِ..؟ ماذا تقولُ يا هذا؟ صاحَ سعدون.

وسادَ هرجٌ ومرجٌ، والجميعُ يَسْتَنْكِرُ قولَ حمدان، فكيفَ يُمكِنُ لِطيرٍ أنْ يَخطُفَ فتًى..؟!

- لِمَ تستغربونَ؟! صاحَ حمدان. ثُمَّ وَجَّهَ كلامَهُ إلى سعدون: إنَّ أرضاً تأكلُ فيها الجُرذانُ الحديدَ، فإنَّ طيورَها لا شَكَّ تأكلُ الفِتْيَةَ... وشرحَ لِلنّاسِ المُجْتمعةِ ماذا فعلَ مَعَهُ سعدون..

فما كانَ مِنْ سعدون إلاّ أنْ اعترفَ بأنَّهُ هُوَ مَنْ تَصَرَّفَ بالحديدِ.. وأنَّهُ سيُعوِّضه مِنْ خِسارتِهِ له. فَدَعاهُ حمدان إلى بيتِهِ، حيثُ وجدَ ابنَهُ يَلعبُ.

وما هِيَ إلاّ لحظاتٌ، حتّى عادَ الفَتى وقبضَ حمدانُ ثمنَ حديدِهِ.

ظَلَّتْ قِصَّةُ الفِئرانِ الّتي تأكلُ الحديدَ مثلاً يُضرَبُ بِهِ عندَ المُبالغةِ، أو الإتْيانِ بأمورٍ مُستحيلَةِ الحُدوثِ.

النّاسك وجرّة السّمن والعسل

كان يا ما كان في قديمِ الزّمانِ ناسِكٌ يَحصُلُ على قوتِ يومِهِ مِنْ تاجرٍ كبيرٍ، يسكُنُ بالقربِ مِنْهُ.

كانَ التّاجرُ يُرسِلُ كُلَّ يومٍ بعضَ السَّمْنِ والعَسلِ إلى النّاسِكِ، فيأكلُ منهُ، ويحتفظُ بالباقي في جرَّةٍ علّقها في سقفِ البيتِ.

ومرَّتِ الأيّامُ عاديَّةً على النّاسِكِ، يأكلُ مِمّا يَصِلُهُ، ويدّخِرُ الباقي في الجرَّةِ، إلى أنْ أتى يومٌ امتلأتْ فيهِ الجرَّةُ سَمناً وعَسلاً.

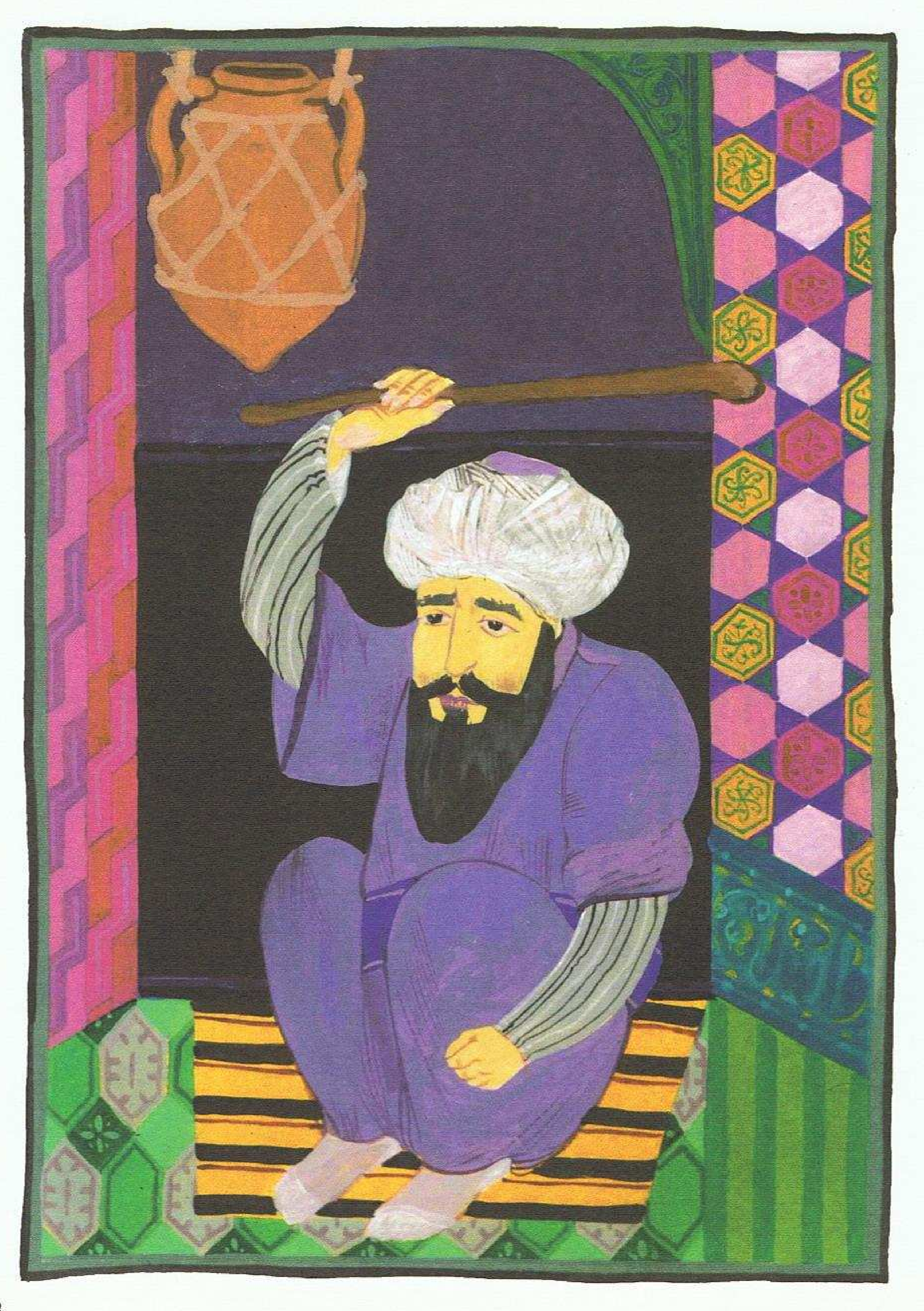
فَرِحَ النّاسِكُ بِما ادّخرَهُ، وبَينما هُوَ يَجلِسُ مُرتاحاً، راحَ يتأمَّلُ الجرَّةَ، ويُفكِّرُ في سِعْرِ ما تَحويهِ مِنْ سَمنٍ وعَسلٍ.

وكانَ مُستَلْقِياً وعَصاهُ في يدِهِ، يُلَوِّحُ بِها شِمالاً ويَميناً، أَعلى وأَسفلَ.

وبدأَ يَحسِبُ الأثمانَ، فقالَ: بِثمنِ هذهِ الجرَّةِ أَشْتري عشرَ رؤوسٍ مِنَ المَعْزِ.

وكلّ ماعِزٍ سَتحمِلُ، وتَلِدُ صِغاراً كلَّ خمسةِ أشهرٍ، فَيُصْبِحُ لديَّ الكثيرُ مِنَ المَعْزِ، وبعدَ سنينَ يصبحُ عندي مزرعةٌ مملوءةٌ بِحَوالي أربعمائةِ رأسٍ.

وأكملَ النّاسِكُ حِساباتِهِ، وقالَ: ثُمَّ أَستبدلُ بعضَ المَعْزِ بالأبقارِ والثيرانِ. وأَشْتري بِثَمنِ ما يَبْقى مِنْها أرضاً.. أَحْرُثُها بِواسطَةِ الثيرانِ وأَزْرَعُها، وأَنْتفعُ





مِنْ ألبانِ الأبقارِ.. وهكذا تَتَدَفَّقُ عليَّ الأرباحُ، وأخزِّنُ ما يَفيضُ عَنْ حاجَتي..

وبعدَ خمسِ سنواتٍ.. أُصبحُ صاحبَ مزرعةٍ كبيرةٍ، تدرُّ عليَّ الحبوبَ والألبانَ، وعِنْدَها سَيَصيرُ لِزاماً عليَّ أنْ أبنِيَ بيتاً فاخِراً، وأَستخدمَ عُمالاً ومُساعدينَ، وأتزوَّجَ امرأةً صالحةً، وسَتُنْجِبُ لي ولداً أعملُ على تَربيتِهِ أحسنَ تَربيةٍ، وأُأَدِّبُهُ أدباً جميلاً، وأكونُ حازِماً.. نعمْ حازماً وشَديداً، ولَنْ أتهاونَ، ولَنْ أَدَعَهُ يَعْصي أَوامري، وإذا عَصاني يوماً فسأَضرِبُهُ بِعصايَ هذهِ هَكذا.. وهَكذا.. وراحَ يُلَوِّحُ بِالعصا وإذْ بِهِ يَضرِبُ الجَرَّةَ المُعَلَّقَةَ فَتَنْكَسِرُ، ويَسيلُ مِنْها السَّمنُ والعسلُ على وَجهِهِ وثيابِهِ وعلى.. أحلامِهِ!.

طائر المكّاو والسّمك...

ها هو طائرُ المكّاو، يتأوَّهُ مِنْ شِدّةِ الجوعِ.. فهوَ مُنذُ مُدَّةٍ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ السَّمكِ، ولَيْسَ السَّببُ بُعْدَهُ عَنْ مكانِ السَّمكِ، فالمكانُ الّذي يَسكُنُ فيه قريبٌ مِنَ البحرِ، بلْ لأنّهُ كَبُرَ، وقُدرتُهُ على الصَّيدِ قلَّتْ.

فكَّرَ طائرُ المكّاو: إنّ كِبَرِي لَنْ يَمْنَعَني مِنْ أنْ أستخدمَ عَقلي في حيلَةٍ ما، لَنْ أستسلمَ لِلجوعِ.. لَنْ أستسلمَ.

خطرتْ في بالِهِ خطّةٌ، عمدَ إلى تَنفيذِها في اليومِ التّالي.

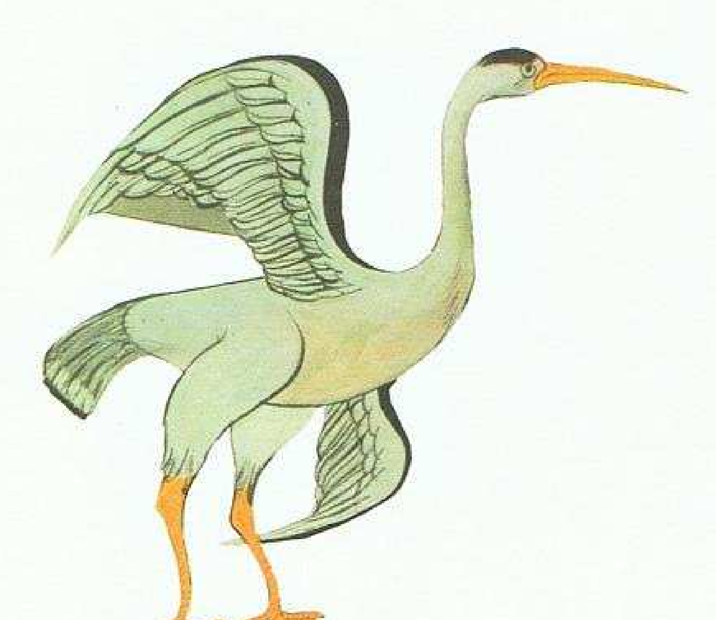
كانَ السَّرطانُ يعيشُ في تلكَ البُقعةِ أيضاً، وعِندَما لمحَهُ المكّاو قادِماً نحوَهُ حيّاهُ بصوتٍ مُنخفضٍ، وكأنَّ بِهِ حُزناً وكآبةً، ولمّا استفسرَ السَّرطانُ عَنْ حالِهِ، جاءَهُ الجوابُ: أنا مَهمومٌ.. أيّها السَّرطانُ.. مهمومٌ..

- وما يَهُمُّكَ أيُّها المكّاو؟

- القَلَقُ مِنَ المستقبلِ.

- لم أفهمْ.. أَوضحْ مِنْ فضلِكَ..

قالَ المكّاو: أنا حتّى اليومِ أعيشُ هانِئاً. آكلُ كُلَّ يومٍ سَمكةً أو اثنتينِ، والسَّمكُ هُنا



كما تعرفُ وفيرٌ.. ولَكِنِ اليومَ، رأيتُ صيّادَيْنِ ذاهبَيْنِ، تأمّلا المِنْطقةَ هُنا، ورَأَيا السَّمكَ وفيراً، فقرّرا العودةَ لِلظَّفرِ بهِ، بعدَ أنْ يؤمِّنا الشَّبكَ المُناسِبَ، وعِندَها.. سأكونُ الخاسرَ الأولَ.

سَمِعَ السَّرطانُ ما سمعَ، فأسرعَ إلى جماعةِ السَّمكِ.. وأخبرَهُنَّ حَرفياً ما سَمِعَهُ..

قالَتْ إحداهُنَّ: طائرُ المكّاو عدوّنا، وقَدْ يَنْقَلِبُ إلى صديقٍ. هيّا بنا لنَسْتشيرَهُ، ما دامَتِ المُشكلَةُ مُشْكِلَتَنا مَعاً..

أمّا طائرُ المكّاو، فكانَ قَدْ حَضَّرَ جوابَهُ لِجماعةِ السَّمكِ الّتي قصدَتْهُ. فبعدَ أنْ شَكرهُنَّ على ثِقَتِهِنَّ بهِ، قالَ: الحِكمةُ ألاّ نواجِهَ الصيادَيْنِ، فهذِهِ معادَلَةٌ غيرُ مُتكافِئَةٍ..

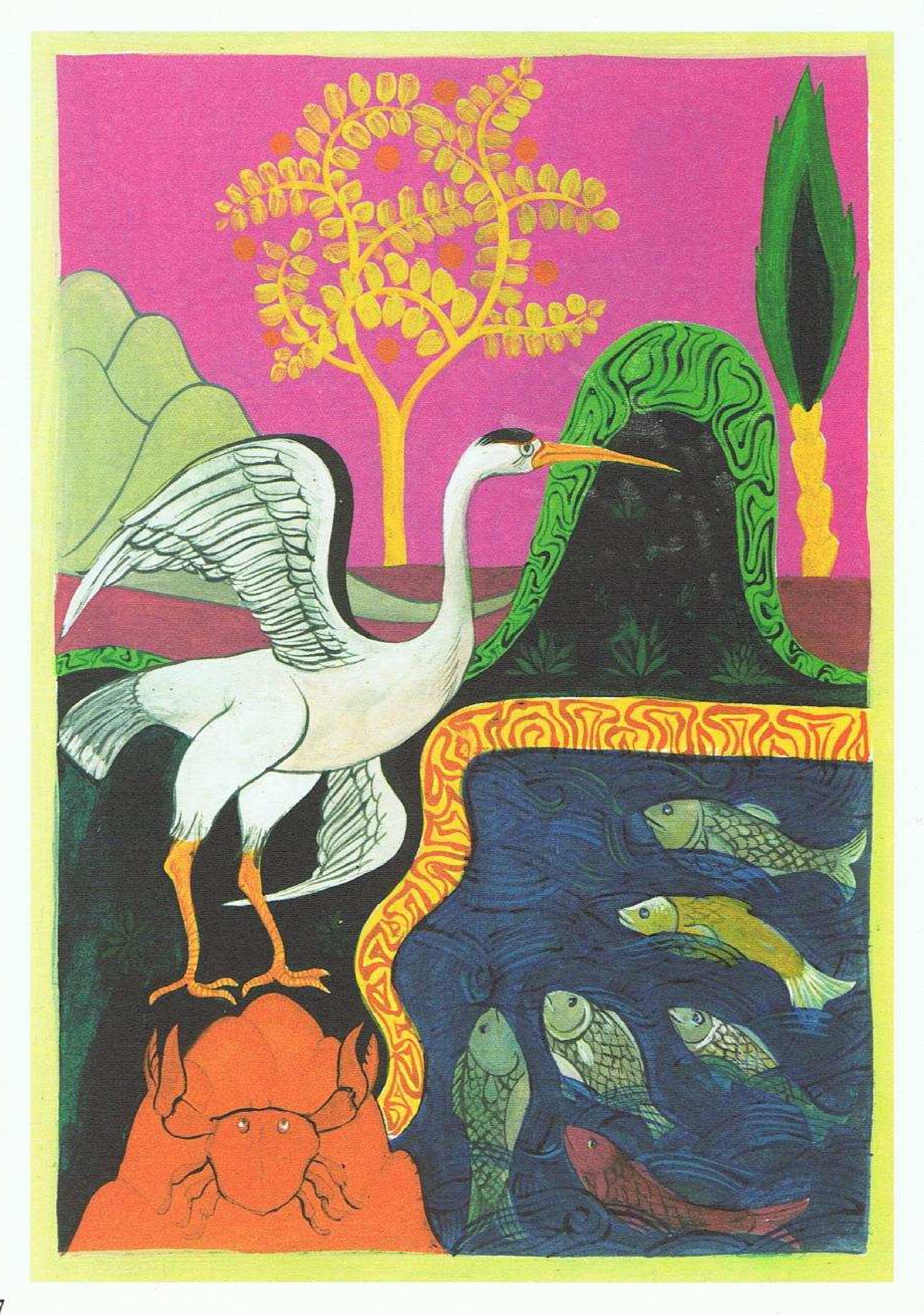
- والحَلُّ؟

- تَرْحلْنَ إلى مكانٍ آخرَ..

- إلى أينَ؟ وكيفَ؟

- أنا أعرِفُ مكاناً فيهِ غديرٌ نَظيفٌ. يُمكِنُني المُساعدةُ بِنقلكُنَّ إليهِ، ولَكِنْ أرجوكُنَّ لا تَسْتَعْجِلْنَني. سأنقلُكُنَّ على دَفعاتٍ، وذلكَ حَسْبَ قُدرتي، كُلَّ يومٍ سمكةً أو اثْنَتَينِ، وهذا أَقْصى ما يُمكنُ أن أُقدِّمَهُ..

في الحالِ، وافقَتِ السَّمكاتُ، وبدأَتْ رِحلةُ الانتقالِ.. وبدأَتْ بذلكَ تَنحلُّ



مُشكِلةُ طائرِ المكّاو، لِيعيشَ هانئاً، يَظفَرُ كُلَّ يومٍ بسمكةٍ أو بِسمكتيْن، في رحلةٍ قريبةٍ، ثُمّ يعودُ إلى عُشّهِ.

وهكذا، استمرَّ الحالُ، إلى أنْ طلبَ السَّرطانُ مِنَ المكّاو أنْ يَصطحِبَهُ إلى الغديرِ الجديدِ لِلسَّمكِ، فقدْ اشتاقَ إلى جاراتِهِ.

حَملَ المكّاو السَّرطانَ وانطلقَ بهِ.

ومِنَ الجوِّ نظرَ السَّرطانُ إلى اليابسةِ تَحتَهُ، فوجدَ مكاناً مَملوءاً بِعظامِ السَّمكِ.. ودبَّ الذُّعرُ في نفسِهِ، ولكنَّهُ تمالكَ نفسَهُ، وصمَّمَ على التَّصرُّفِ بِشجاعةٍ، فالمكّاو هوَ مَنْ فعلَ ذلكَ، وسَيَقضي عليهِ كما فعلَ بِالسَّمكِ، وهو هالِكٌ لا مَحالةَ. فكَّرَ السَّرطانُ، وقالَ: أموتُ شُجاعاً خيرٌ مِنَ الاستسلامِ. لَمْ يتردَّدْ، وعلى الفورِ فاجأ المكّاو بِهُجومٍ على عُنُقِهِ، فَشَلَّ حركتَهُ، وهوى وإيّاه إلى الأرضِ.

لَمْ يُصدِّقِ السَّرطانُ أنَّهُ نَجا، فدبدبَ بِسرعة إلى السَّمكِ المُتبقّي لِيُخبرَهُنَّ بما حدثَ وهو يُتمتِمُ: لقدْ لاقى المكّاو نَتيجَةَ خِداعِهِ..

السّمكات الثّلاث

كان يا ما كان في قديمِ الزمانِ، وفي غديرٍ هادىءٍ، عاشَتْ ثلاثُ سمكاتٍ صغيراتٍ.. قَدْ يَكُنَّ أخواتٍ، أو صديقاتٍ، يُطلَقُ على الأولى اسمُ «غُريرة» وعلى الثّانيةِ اسمُ «غُرّة» وعلى الثّالثةِ اسمُ «غرغورة».

كانَتْ غُرّة سَمكةً فَطِنَةً وذكيّةً. أمّا غُريرةُ فكانَتْ أشدَّ فِطْنَةً مِنها وحِكمةً. فيما كانَتْ غرغورة عاجِزَةً عَنِ التّصرُّفِ السّريع.

وقَدْ كانَ قربَ الغديرِ نهرُ جارٍ، يزورُهُ الصّيّادونَ مِنْ وقتٍ إلى آخرَ.. فيَكتفونَ مِنْ صَيْدِهِ ويَعودونَ.

وشاءَتِ المصادفاتُ في أحدِ الأيّامِ، أنْ وقعَ بَصُر صيادَيْنِ على الغديرِ، وتحدّثا في ما بَيْنَهما، وقرّرا العَوْدَةَ إليهِ في اليومِ التّالي لِيَرمِيا شِباكَهُما فيهِ، ويُجرِّبا حظَّهُما في الصّيدِ، لَعلّهُما يَحظَيانِ بسمكٍ جديدٍ.

سمعَتِ السّمكاتُ الثلاثُ قولَ الصّيادَيْنِ.. ولَكِنْ كانَتْ رَدَّةُ فِعلِ كلِّ واحدةٍ مِنهنَّ مُختلفةً عَنِ الأُخرى.

على الفَوْرِ، اهتمّتْ غُريرة بالموضوعِ، وقرّرَتِ المُغادرةَ، فتركَتْ ما كانَتْ تقومُ بهِ في مياه الغديرِ، أَعلمَتْ رَفيقَتَيْها بِقرارِها وانسابَتْ مُغادِرَةً.

غُرّة أيضاً اهتمّتْ بالموضوعِ، ولكنَّها لم تَشعرْ بضرورةِ الرّحيلِ فوْراً، لِذا، ظَلّتْ تَترَقّبُ بعضَ الغِذاءِ لِتلتقِطَهُ مِنْ هُنا وهُناكَ..

أمّا غرغورةُ فكانَتْ في عالمٍ آخرَ. لَمْ تهتمَّ بِما سَمِعَتْ، ولَمْ تَلْتَفِتْ إلى ضَرورةِ الرَّحيلِ أصلاً، وكأنَّ الخطرَ لا يَعنيها.

في هذا الوقتِ، كانَتْ غُريرة قَدْ غادرَتْ مِنْ خلالِ الفُتحةِ الّتي تَصُبُّ بالنَّهرِ. سبحَتْ حتّى وصلَتْ إلى بَرِّ الأمانِ.

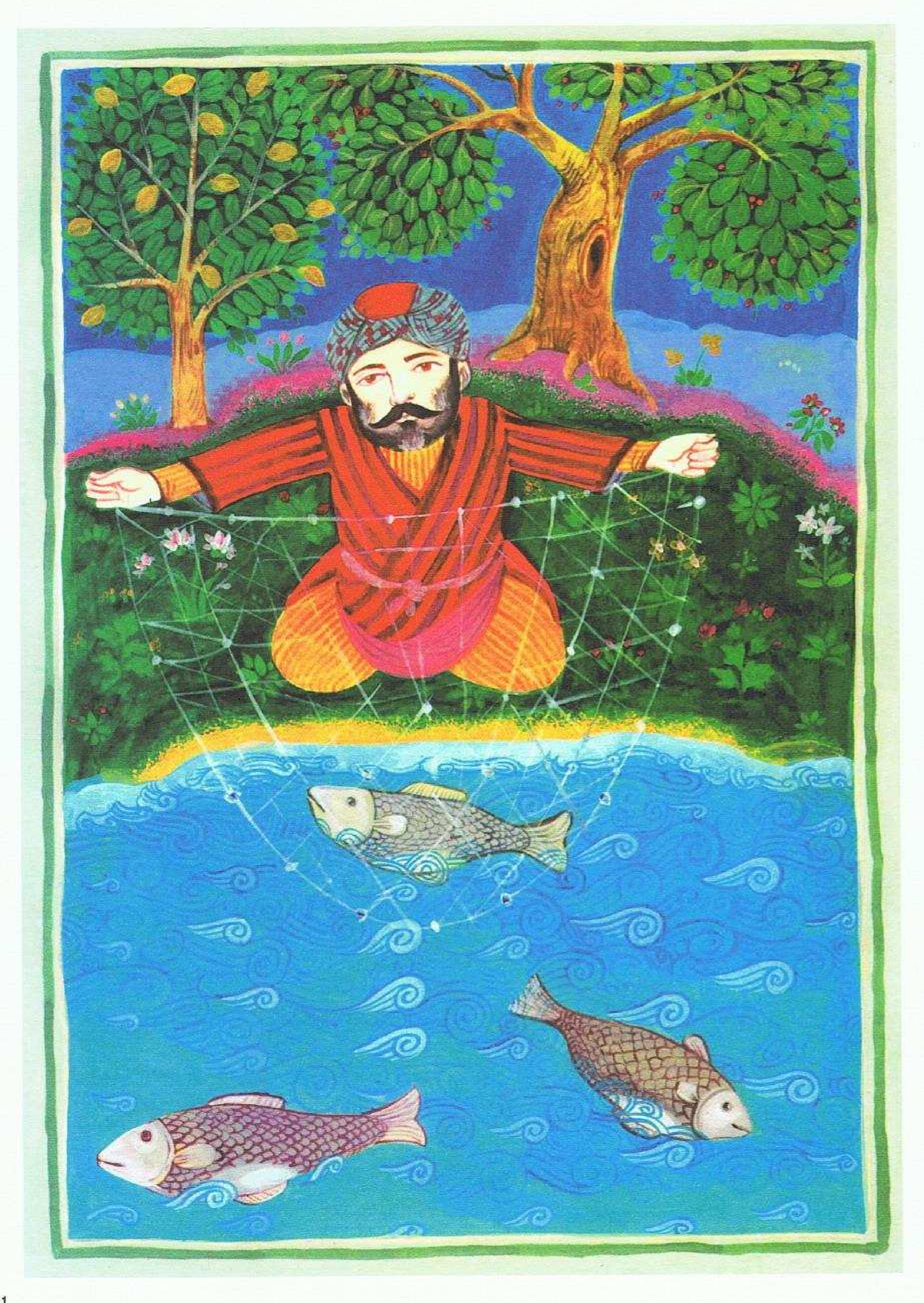
وفي الغدِ.. عادَ الصَّيّادانِ، واختارا أن يَرمِيا الشَّبكةَ في تلكَ الفُتْحةِ الّتي تَربُطُ الغديرَ بالنَّهرِ..

رأتْ غُرّة الصيادَيْن فأدركَتْ خطأَها، إذْ فرّطَتْ حينَ قَلَّلَتْ مِنْ أهميَّةِ الخَطرِ. ولَكِنَّها الآنَ في خطرٍ فِعليٍّ، ولا يُمكِنُ أنْ تَستسلِمَ وتُسلِّمَ نفسَها لِلشِّباكِ.. عليها أنْ تَتصرَّفَ. تَظاهرَتْ بالموتِ، فطفَتْ على سطحِ الماءِ، وراحَتْ تَتقلَّبُ مرّةً على بَطنِها، ومرّةً على ظهرِها على مرأى مِنْ عينِ الصَّيّادَيْنِ، اللّذينَ سَحباها مِنَ الشَّبكةِ ورمَياها جانِباً، على أساسِ أنّها مَيتةٌ.

وفورَ وصولِها إلى الأرضِ بينَ الغَديرِ والنَّهرِ، قَفزَتْ غُرّةْ إلى الماءِ وغاصَتْ في النهرِ بعيداً وَسْطَ ذُهولِ الصَّيادَيْنِ ودَهشَتِهما..

لَمْ يبقَ إلاّ غرغورة..

في الغديرِ ظلّتْ غرغورة تروحُ وتَجيءُ، لا تعرفُ كيفَ تخرجُ مِنْ مأزقِها، تَعطَّلَ التَّفكيرُ لَديها حتّى قادَتْها زعانِفُها إلى الفُتحةِ بينَ الغديرِ والنَّهرِ. وبِكلِّ سهولةٍ وَصلَتْ إلى الشِّباكِ.. عَلَقَتْ فيهِ وكانَ نَصيبُها الهلاكَ..



إبن المقفّع :

وُلد إبن المقفع عام (724م) وبالرغم من أنّه لم يعش طويلاً، ويعتبر من أبرز أئمة البلاغة في الأدب العربي كله. فارسي الأصل واسمه كان روزبة من دازوية، بدّل اسمه إلى عبد الله بعد اعتناقه الإسلام، اشتهر ببلاغته واسلوبه السهل الممتنع. كان رفيع الثقافة باللغتين العربية والفارسية وقيل باليونانية أيضاً.

عندما قُتِل إبن المقفع على يد الخليفة العباسي لم يكن عمره يتجاوز السادسة والثلاثين، إلا أنه خلّف لنا من الآثار الكثيرة، وكُرِّس صاحب المدرسة الرائدة في النثر.

بعض مؤلفات إبن المقفع هي نقلٌ عن الفارسية واليونانية والهندية، أبرز كتبه : الأدب الكبير والأدب الصغير، وكتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه عن الفارسية.

كليلة ودِمْنة:

مجموعة من القصص والحكايات الرمزية الأخلاقية التي تدور فيها الأحاديث على ألسنة الحيوانات، كتبها الفيلسوف الهندي بيدبا (300م) وكان اسمه باللغة السنسكريتية «بانكا تانترا» (الفصول الخمسة). وفي ما بعد نقله إبن المقفع إلى العربية عن ترجمة فارسية وسمّاه بـ «كليلة ودمنة»، نسبة لثعلبين شقيقين ورد ذكرهما في باب الأسد والثور الذي يتصدر الكتاب. طارت شهرة كليلة ودمنة وتُرجم إلى لغات أجنبية عديدة.

كليلة ودمنة

العمر: +9

حمامة مطوّقة تقود رفيقاتها وتخلّصهن من الشبكة..

غراب يطلب الصداقة مع جرذ..

وابن آوى يتعرّض لوشاية الواشين في بلاط الملك..

أرنب صغيرة تنتصر على فيل جبّار..

وصداقة غريبة تنشأ بين قرد وغَيْلم..

كلّ هذا وغيرها من القصص والأحداث تدور على ألسنة الحيوانات، في متعة لا تنتهي عبر الأجيال.. مع حكايات كليلة ودمنة التي لا تعرف الزمان والمكان.




www.alhadaekgroup.com
ISBN 978-9953-496-25-2
9 789953 496252